بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

# دور الجامعات العربية

# في تحقيق الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية لدى طلابها ،

# دراسة مقارنة مع الجامعات الصينية

**بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري**

**«المفاهيم والتحديات»**

**في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول ١٤٣٠هـ**

**كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات**

**الأمن الفكري بجامعة الملك سعود**

إعداد:

د . محمد بن أحمد عوض البربري

أستاذ مشارك بقسم التربية وعلم النفس

كلية التربية – جامعة حائل

## ▼ مقدمة :

أصبح العامل الثقافى بعداً أساسياً فى العلاقات الدولية المعاصرة ولذلك أسبابه التى تبدأ من العولمة ولا تنتهى بصراع الحضارات فقد يكون هذان عاملين رئيسيين فى هذا الشأن ، ولكن التطورات الدولية منذ الحادى عشر من سبتمبر تضيف هى الأخرى بعداً جديداً لأهمية هذا العامل، حيث جرت محاولات لإلصاق ثقافة معينة بالظاهرة الإرهابية، وهو أمر يضيف هو الآخر أهمية للعامل الثقافى فى تحديد السياسات العالمية وتشكيل العلاقات الدولية بل والعلاقات الثقافية ذاتها فى عصر المعلوماتية ، إذ تحاول بعض الثقافات أن تطغى بمكوناتها على ما يجاورها أو حتى ما لا يجاورها من ثقافات فى ظل تكنولوجيا الإعلام التى تجتاح هذا العصر، محدثة " تحرشاً ثقافياً " بين المجتمعات المختلفة .

ولقد أدى ذلك كله إلى ظهور ما يعرف بـــ " ثقافات المسخ " لدى بعض طلاب الجامعات العربية تلك الثقافات التى تتحوّل ثقافة المجتمع بموجبها إلى مجرد مسخ من مكونات ثقافات أخرى، بشكل لا تتفاعل فيه هذه المكونات مع بعضها البعض، على اعتبار أن معظمها لم ينبع فى الأساس من داخل المجتمع ذاته، وإنما هى وافدة إليه بطريقة أو بأخرى، خاصة وأن المجتمعات تتمايز بما يحمله أفرادها من شخصية وطنية، تلك الشخصية التى تلعب دورا أساسيا فى الثقافة الوطنية، وما تتضمنه من جذور تاريخية تلعب دوراً فاعلاً فى تكوينها، إذ لن يحقق " الذوبان الثقافى " شخصية متميزة لمجتمع ما ولو كان ذوبانا فى ثقافة العولمة.

وفى هذا كله تظهر أهمية وضرورة الاعتزاز والأصالة والملاذ والتمسك بالشخصية الوطنية وضرورة تحقيق الأمن الفكري بين طلاب الجامعات العربية، وهذا لا يعنى إنكارا أو رفضا للمتغيرات المحيطة بنا، والتى من بينها ما يسمى بخطأ العولمة ! وإنما يعنى ذلك الأخذ منها، والإسهام فيها بما لا يترع عنا لباس هويتنا الثقافية أو شخصيتنا القومية أو الوطنية، لذا بات لزاماً على مختلف المجتمعات العربية أن تحمى نطاقها الثقافى ، وأن تعتبر ذلك أساساً من أساسيات عناصر أمنها الوطني ، إذ ما فائدة الحفاظ على الحدود السياسية مثلا بينما قد تم التحرش بالمجتمع الطلابي من ورائها ثقافيا وفكريا ، أو تم اختراقه أو ربما غزوه على هذا الصعيد ومن ثم فقد هويته الثقافية.

إن دراسة سبل وآليات تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على الشخصية القومية لا يعتبر عبثاً ولا سباحةً ضد التيار، ولا حتى الدعوة إلى الانغلاق والتقوقع داخل الإطار الضيق من الخصوصيات

الثقافية، فالشخصية القومية انتماء وكرامة وارتباط بالتاريخ ، وفى هذا كله الاعتزاز والأصالة والملاذ ، ففي سياق التحولات والتكيفات العربية مع النظام العالمى الجديد يأتى موضوع هذه الدراسة ليعالج مجموعة من العوامل الداعية إلى إعادة تخطيط ورسم سياسات التعليم الجامعى العربي ورصد وتشخيص مجموعة من الاتجاهات المحلية والعالمية فى تحقيق الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية لدى طلابها ، إلى جانب المخاطر والتحديات والتوترات لتلك الهوية الثقافية فى علاقتها المتشابكة مع وظائف الجامعة ومؤسسات التعليم الجامعى ، وما يتطلبه ذلك كله من ضرورة وجود توازنات وتفاعلات جدلية بين سياسات التعليم الجامعى وباقي الأنساق المجتمعية من جهة أخرى فى استجاباتها وعرض الأساليب والآليات التى توجد بالتعليم الجامعى فى مواجهة عمليات الانحراف الفكري والغزو الثقافى ساعية لتحقيق الحفاظ على الهوية الثقافية.

## ٧ مشكلة الدراسة :

تحاول الدراسة الراهنة طرح تجربة الغير ممن حقق الحفاظ على هويته وأمنه الفكري وساير في الوقت نفسه عصر العولمة ولتكن مثلا دولة الصين الشعبية ، التجربة التى اشتملت على ما يعرف " بنموذج المجتمع الانتقالى" الذى هدفه التحديث والقائم بين الحفاظ على المجتمع التقليدى وعصرنة المجتمع في الوقت نفسه ، مما أدى إلى ظهور نوعا من الهيكل الاجتماعى الثنائى ظهرت تركيبته بصورة رئيسية فى ثنائية كل من هيكل السلطة والهيكل الاقتصادى والمجتمعات السكانية ، وثنائية التنظيم الاجتماعى ، والذى نجم عنه أيضا ما أحرزه الصينيون فى عملية التحديث وانجازاته الهائلة ، ولكن تم دفع الثمن غاليا ومؤلما فى بعض المجالات الأخرى، حيث يمارس الصينيون ذلك الانتقال الكبير والشاق فيما بين عصر الانتقال ونموذج الانتقال الثقافى وتحديات الحفاظ على الهوية الثقافية.

ولذلك تجســـد الظواهر الثقافية الراهنة فى نموذج المجتمع الانتقالى فى الصين الحديثة تلك المقاومة العنيفة لبعض التناقضات من جراء خصائص الهيكل الثنائى للتكوين الثقافى ، فهناك تناقض واقعي لدى الطلاب في الجامعات الصينية بين توارث الثقافة وإبداعها ، وتناقض بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة ، وتناقض بين الثقافة الداخلية والثقافة الخارجية ، وتناقض بين التطابق الثقافى والتنوع الثقافى ، وتناقض بين اتجاه القيم الثقافية واتجاه الممارسة ، ولقد انعكست هذه التناقضات الخمسة على السياسات الجامعية فى الصين ، وفى ضوء ذلك تدور مشكلة الدراسة الراهن حول التساؤل الرئيسى التالى : **ما ملامح السياسات الجامعات الصينية فى الحفاظ على الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية لطلابها ؟ وكيف يمكن الاستفادة منها فى تطوير آليات تحقيق الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية بالجامعات العربية** ؟ ويتفرع من هذا التساؤل عددا من الأسئلة الفرعية التالية :

- ما واقع الأمن الفكري لدى طلاب الجامعات العربية ؟
- ما واقع الهوية الثقافية فى عصر العولمة والمعلوماتية لدى طلاب الجامعات العربية ؟.

- ما أساليب تحقيق الأمن الفكري في كل من الجامعات الصينية والعربية ؟.
- ما أساليب تعزيز الهوية الثقافية في كل من الجامعات الصينية والعربية ؟.
- ما أوجه الشبه والاختلاف بين كل من التجربة الصينية والمحاولات العربية ؟.
- ما التصور المقترح لتحقيق الأمن الفكري لطلاب الجامعات العربية ؟.

## ▼ أهداف الدراسة وأهميتها :

ومن ثم فهذه الدراسة تستهدف :

- التعرف على آليات تحقيق الأمن الفكري وأساليب تعزيز الهوية الثقافية عن الشباب الجامعى فى عصر المعلوماتية فى كل من الصين والدول العربية ، وهى فى هذا الشأن تسعى إلى تحليل كل من مفهوم الأمن الفكري ومفهوم الهوية الثقافية بجوانبهما المختلفة ، وكذلك مفهوم العولمة الثقافية وأثرها على الهوية العربية عند الشباب العربي ، ويتعرض أيضا لأحد خبرات وتجارب العالم النامى فى هذا الشأن وبخاصة جامعات دولة الصين الشعبية.
- تقديم رؤية لمستقبل الطلاب فى الجامعات العربية من منطق الإدارة الواعية لأهمية التنوع والتعدد الثقافى التى لا تقل أهمية عن التنوع البيولوجى الذى يختص به أدبيات التنمية الموصولة ، إذ تقو م الدراسة بتقديم رؤية لنا دون ذوبان أو عزلة فكلاهما مدمر.
- تفيد نتائج الدراسة فى توجيه أنظار القائمين على شئون الجامعات العربية إلى بعض السياسات والأساليب والآليات التى تتبعها الجامعات الصينية للعمل على تطوير أساليب التوعية بالأمن الفكري ومجابهة صور الانحراف الفكري ، والحفاظ على وتعزيز الهوية الثقافية فى الجامعات العربية.

## ▼ منهج الدراسة :

تنتهج الدراسة المنهج المقارن الذي يسعى ببعض مداخله نحو فهم ثقافات النظم القومية واعتبارها ضرورة أساسية لبناء فهم أفضل لأهداف ووظائف التعليم فى المجتمعات المختلفة ، وكذلك لتجميع البيانات التى يمكن عن طريقها بناء أسس تخطيطية للهياكل والبنى التعليمية ، فضلا عن وضع بعض الحلول العلمية للمشكلات التى تجابهها تلك النظم التعليمية ، مع طرح لأفضل الوسائل لعلاج هذه المشكلات وتقويمها (١) بعد دراسة وتحليل تأثيراتها على تشكيل الطابع القومى للتعليم ، ليس لوصف ما يعتقد بأنه **سمات قومية مميزة لهذا النظام أو ذاك** ، **وإنما** لتفسير التطور القومى في السياسات التعليمية الجامعية وممارستها في تحقيق الأمن والحفاظ على الهوية ، فشخصية الأمة ونمطها القومى هو الذى يشكل مؤسساتها الاجتماعية والسياسية والثقافية ، فمن الخطأ استخدام التربية والتعليم لتغيير الإطار الثقافى القائم ما لم يكن هذا التغيير بطيئا تدريجيا ، ومتمشيا مع النمط والآمال القومية.(٢)

## ٧ حدود الدراسة :

ترى الدراسة الحالية أنه من الضرورى الاعتراف والتسليم بأن قضيتا الأمن الفكـــري والهويـــة الثقافية من القضايا المتشعبة التى لا يستطيع بحث واحد الإلمام بكافة جوانبهما وأبعادهمـــا فى عالمنـــا العربى المعاصر ، ولذا سوف تقتصر على :

- دراسة وتحليل مفهوم الأمن الفكري لدى الطلاب فى عصر العولمة والمعلوماتية.
- دراسة وتحليل ملامح الهوية الثقافية فى عصر العولمة والمعلوماتية بالمجتمعين العربي والصيني.
- بحث رسالة الجامعة ودورها فى مواجهة التحديات والانحرافات الفكرية لدى بعض الطلاب.
- بحث رسالة الجامعات العربية ودورها فى مواجهة التحديات التى تترع إلى محو الهوية الثقافية والذوبان الثقافى.
- طرح تجربة الحفاظ على الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية بكل من الجامعـــات الـــصينية والعربية من حيث الأساليب والآليات .

## ٧ مصطلحات الدراسة :

تتعدد المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بموضوع الدراسة كما يلى :

**الأمن الفكري** : الأمن بمفهومه الشامل مطلب رئيس لكل أمة إذ هو ركيزة استقرارها وأساس أمنها وأهم أنواعه وأخطرها الأمن الفكري ويقصد به الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة ، وهو بهذا يعني حماية وتحصين الهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات من الاختراق أو الاحتواء من الخارج ، فالأمن الفكري هو الحفاظ على عقل الطالب من الاحتواء الخارجي ، وصيانة المؤسسات التعليمية والثقافية في الداخل من الانحراف ، وهو بهذا له صلة وثيقة بهوية الأمة وشخصيتها الحضارية فهو لب الأمن وركيزته الكبرى. (٣)

**الانحراف الفكري** :إذا اطمأن الناس على ماعندهم من أصول وثوابت وأمنوا على ما لديهم من قيم ومبادئ فقد تحقق لهم الأمن في اسمى صوره وأجلى معانيه وأنبل مراميه ، وإذا تلوثت أفكارهم بمبادئ وافدة ومناهج دخيلة وافكار منحرفة وثقافات مستوردة فقد جاس الخوف خلال ديارهم وحلَّ بين ظهرانيهم ، ذلك الخوف المعنوي الذي يهدد كيانهم ويقضي على مقومات بقائهم.

**تحقيق الهوية** : يقصد به تحديد الفرد لمن هو بحيث تكون توقعاته المستقبلية امتدادا أو استمرارا لخبراته الماضية ، والشعور بأن ما كان عليه فى الماضى هو ما عليه الآن وما سيكونه ويصير عليه غدا ، كما ينطوى هذا المفهوم على مسالك الفرد لتحقيق استقلاله وتفرده ، والاضطلاع بدوره الاجتماعى والبعد عن التراخى والسلبية ، والتوجه نحو أهداف محددة وإنجازها وفق منظور زمنى محدد ، وتكوين

علاقات ناضجة مع الآخرين ، مع تحديد أيديولوجية أو فلسفة أو معنى لحياته والبعد عن عدم الاكتراث واللا معنى. (٤)

**أزمة الهوية لدى الطلاب** : هى الإحساس بالضياع فى مجتمع لا يساعد الفرد أو الشاب فى فهم حياته ولا فى تحديد دوره فى الحياة ، ولا يوفر له فرصا يمكن أن تعينه فى الإحساس بقيمته الاجتماعية ، حيث لا يحرم المجتمع الحديث الطالب من القدوة والمثل فحسب ، بل يعطله أيضا عن القيام بدور ذى معنى فى الحياة (٥) فالهوية عبارة عن الشفرة التى يمكن للطالب عن طريقها أن يعرف نفسه ، وحدود علاقاته بالجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها ، حيث أن رموز هذه الشفرة تعتمد على التراث الثقافى والبعد التاريخى ، بالإضافة إلى الواقع الاجتماعى والعادات السائدة فيه.

**الهوية الثقافية** : الهوية الثقافية هي القاعدة التي ترتكز إليها الهوية الوطنية وهي الدرع الحامي وخط الدفاع الأخير أمام التهديدات الكيانية الخارجية في تلازمهما وتنشيطهما في الممارسة ، وخلق مناخ عام اجتماعي يتكون بخصائصهما الهوية الشخصية الوطنية الحضارية المميزة والقادرة على الانفتاح والتفاعل والثراء والإثراء المتبادلين من موقع القوة والمنعة.(٦)

## ٧ أهميـــــة الدراسة وأهدافها :

تستمد هذه الدراسة أهميتها من عدة منطلقات :

- الإلمام العام بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية التى تعد قوة الدفع الرئيسية فى تشكيل العـــالم اليوم ، مع استيعاب تفاعلها الجديد فى العلوم الاجتماعية والإنسانية والإيمان بوحدة المعرفة.
- التعرف على بعض جوانب مفهوم **الهوية الثقافية** والتى أصبحت فى الوقت الحاضر مفهوما رئيسيا عند أى مناقشة لقضية العولمة وأخطارها أو اتجاهاتها ومشكلاتها.
- تناول بعض جوانب الموضوعات المتعلقة **بمشكلات الأمن والإنحراف الفكري والهوية الثقافيـــة** التى هى من أعقد المشكلات التى تواجه المجتمعات والشعوب.
- تدق الدراسة ناقوس الخطر حول سلبيات **عصر المسخ والانسياق الثقافي** على الشباب الجامعى ومحاولة إيجاد حلول لمواجهة مخاطر القضاء على لغة ورصيد الأمة العربية عبر ما يبث من أمراض سياسية واجتماعية يتسم أغلبها بالكذب والافتراءات والتجسس وفتح أبواب الفساد الأخلاقى والانحراف الفكري عن طريق القنوات الفضائية والمواقع الفاضحة والمغرضة دون قيود فى الوقت الذى لم يستفد فيه الشباب العربي من حضارة الغرب – إلى حد ما - خاصة وأن آلياته تحمل فى طياتها غزوا فكريا مقصودا وغير مقصود مما يفرض على الجامعات العربية كمراكز تكوين وإعداد وتجهيز ذات أثر فى بناء شخصية الطالب وتنمية جوانبها المختلفة ومن ثم التصدى لهـــذا الغـــزو وحماية هويتنا الثقافية.

- الاستفادة من الآليات التى تتبعها الجامعات الصينية والتى تساعد الشباب الجامعي بالصين على دعم الانتماء للنظم الاجتماعية والوطنية القائمة فى مجتمعه ، على نحو يمكن معه الإفادة من طاقاتهم فى التجديد والتغيير دون أية انهيارات تصيب بنائه الثقافى.
- تحديد نقاط الضعف فى محاور تحقيق الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية داخل أسوار الجامعات العربية لطلابها الذين هم بلا شك أمل المجتمع العربي فى النهوض به وتطويره وتعبئة طاقات الشباب الجامعى وتحريكها لخوض معركة البقاء فى عصر الذوبان والتحرش الثقافى.

## ٧ الدراسات السابقة :

قام الباحث باستعراض العديد من الدراسات والأدبيات التي تناولت قضايا الأمن الفكري والهوية الثقافية ، ولاحظ أن بعضها يدور حول الهوية الثقافية ومنها دراسة الهوية والموروث الثقافى والتعليم العالى(٧) ودراسة العولمة وجدل الهوية الثقافية، ودراسة مقارنة فى تقدير الذات بين الشباب الجامعى باختلاف أساليبهم فى مواجهة أزمة الهوية(٨) ودراسة الهوية العرقية والقوى : السياقات الثقافية فى رد الفعل السياسى بكل من المدرسة والمجتمع (٩) ودراسة الجامعة والمجتمع : أبحاث فى دور الاجتماع فى مجالى الدراسة والتعليم العالى(١٠) ودراسة عالم واحد وثقافات متعددة.(١١)

وبعضها الآخر يدور حول السياسات الجامعية مثل دراسة جامعاتنا العربية فى مطلع الألفية الثالثة " تحديات وخيارات(١٢) ودراسة واقع المؤسسات التعليمية بالوطن العربي في مواجهة ظاهرة العنف والإرهاب(١٣) ودراسة مذهب الجمعية الثقافية داخل الحرم الجامعى (١٤) ودراسة التعليم العالى والتحول من الصفوة إلى العامة من منظور صينى(١٥) ودراسة التعليم العالى فى القرن الحادى والعشرين : تحدى العولمة والاستجابة القومية(١٦) ودراسة تأثير العولمة الثقافية والاقتصادية على التخطيط والتوظيف فى التعليم العالى فى دول شمال أفريقيا والشرق الأوسط.(١٧)

ودراسات أخرى تعلقت بالطلاب والأنشطة الطلابية بالجامعات مثل دراسة دور الأنشطة الطلابية فى الجامعة ودورها فى تثقيف طلابها(١٨) ودراسة صورة طالب التعليم العالى المناسبة لمواجهة تحديات مطلع القرن الحادي والعشرين، ودراسة سمات المتعلم والتشكيلة التربوية فى ضوء العولمة والواقع العربي ، ودراسة الوعى العالمى للطلاب الأجانب فى الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا واتجاهاتهم نحو بعض القضايا الدولية(١٩) **واستفادت الدراسة الحالية منها جميعا في :**

- التأكيد على أهمية الهوية الثقافية وضرورة دراسة سبل وآليات تنميتها وتعزيزها في ظل التحديات والمخاطر التى تواجهنا فى الوقت الراهن ومستقبلياً.
- تحديد وتوضيح مفهوم الأمن الفكري والانحراف الفكري ، وتوضيح أهم الأساليب والآليات الممكنة لتعزيز الأمن الفكري فى مستويات التعليم الجامعي.

- تحديد وتوضيح مفهوم الهوية الثقافية ، وتوضيح أهم الأساليب والآليات الممكنة لتعزيز الهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات العربية.
- تحديد مفهوم العولمة وتأثيراتها الثقافية على أبناء الشعوب ، ومن ثم ضرورة بحث دور الجامعات فى مواجهة أخطار محدقة بهم مثل خطر الذوبان الثقافى فى ثقافة الغير ، وإن لم تتناول أى منها سبل و كيفية الحفاظ عليها أو تعزيزها فى المجتمع الصينى ، وهذا هو الجديد فى الدراسة الحالية.
- الوقوف على الواقع الطلابى بالجامعات العربية والثقافة السائدة بينهم ، شاملا ذلك أيضا التحديات التى تواجه جامعاتنا فى هذا الوقت العصيب من تاريخ أمتنا وفى ظل الصياغة المجحفة لنظام عالمى جديد ذي معايير وتقنيات ثقافية مغايرة عن ذى قبل تدفع العديد من الثقافات والهويات إلى المسخ والذوبان فى الثقافة العالمية الجامحة ومناهجها الدخيلة وأفكارها المنحرفة ، مما ينعكس على الشعوب وهوياتها الثقافية.
- تحديد منهج الدراسة الراهنة ومصطلحاتها وخطواتها المختلفة.

## أولا : تحقيق الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية بالجامعات العربية

يشكل التعليم الجامعي أحد أداوات نقل الثقافة القومية والمحافظة عليها وتنقيتها وتطويرها ، بما يلعبه من دورٍ حاسم فى تشكيل الشخصية القومية لدى الطلاب ، والمحافظة عليهم من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن والحفاظ على الهوية الثقافية من الذوبان فى ثقافة الغير، فالشباب الجامعى الذي يتسم بمحاولة التخلص من كافة الضغوط وألوان القهر المتسلطة عليه من أجل التعبير عن الذات ، ونتيجة لهذه النزعة يميل إلى الاستقلال والاعتماد على الذات ، ليصبح أكثر راديكالية وأقل رغبة فى الامتثال للسلطة المفروضة عليه ، وهذا يتطلب أن يكون على درجة كبيرة من الوعى بذاته ، وبما يحيط به من ثقافات وعادات تكرس الهوية الثقافية وعلى درجة كبيرة من الوعى بمتغيرات العصر ومتزلقاته والذي يتسم بتعدد الهويات الثقافية المتسارعة ، مما شكّل إحساسا شديدا بالتخوف من أن نفقد هويتنا وأن نفقد شبابنا وطلابنا في ظل الثقافات المستوردة وتيارات الانحراف الفكري الجارفة.

### ١ - ثقافة طلاب الجامعات العربية
### في عصر المسخ والاستنساخ الثقافي

ثمة احتمال يفترض وجود ثقافة ذات منحنى إنسانى عام يتطور باتجاه عولمة شاملة ، واحتمال آخر يفترض أن الحقبة التاريخية التى تسود العالم الآن تترك سمات مشتركة تنسب لظاهرة العولمة ، وتتبناها كل الثقافات الإنسانية وهي قد تكون انتقائية بمعنى أن تتبنى بعض السمات والخصائص وترفض أخرى، وانعكس هذا على طلاب جامعات الدول النامية التي تعنى بتنمية الموارد البشرية وبناء

الإنسان وتطوير مداركه ، وتعميق وعيه بوجوده ومكانه فى العالم ، والارتقاء بأفكاره وسلوكياته واحترام حقوقه وحرياته ، وإطلاق قدرات الابتكار والإبداع لديه ، مؤكدة بذلك على أنه لا مجال لوضع استراتيجية للنهوض ودحرالتخلف دون التعرض لهذه الرؤية الحضارية إلا من خلال الجوانب الثقافية ، بحيث يبدأ منها وينتهى إليها وبأى تخطيط يتصل بالتعليم الجامعي وسياسات الجامعات ، وثمة ملاحظات عدة حول مشاهد وسمات سلوكيات طلاب الجامعات العربية اليوم منها :

- **ثقافة طلابية كونية في مقابل الثقافة والهوية الوطنية :**

تخلقت اليوم بين طلاب الجامعات ثقافة سلوكية عالمية كونية من الحداثة بنزوعها الكونى ، فالصورة المعاصرة من عولمة الحداثة قد عجلت بتكوين هذه الثقافة الطلابية فعلى الرغم من تنوع الثقافة الوطنية الداخلى إلا أنها كانت تتميز بالتجانس على الأقل عبر الاشتراك فى مجموعة السمات السلوكية والرمزية وكذلك الاشتراك فى لغة واحدة ، أما ثقافة العولمة الكونية بين الطلاب اليوم تتجاوز هذه الثقافة الوطنية متخطية حدود الدول ومؤسساتها الجامعية لتنتشر من خلال آليات عبر ثقافية واجتماعية فى مجموعة من الصور والرموز والممارسات والأساليب والفنون والقيم التى تضفى شرعية على الأفراد وتكسبهم قدرا من الاستمرارية وإعادة الإنتاج ، حيث أصبح شعار الكونية السوقية التأكيد على قيم السلع والربح وفتح الشهية لاستهلاك السلع الأجنبية ، بل و( تسليع ) كثير من قيم الحياة ، متجاوزا بذلك قيم المعانى الدينية والخلقية والإنسانية ، والسعى إلى تشكيل نمط الشخصية الكونية المنفصلة عن جذورها وهمومها ومصالحها الوطنية التى قد تتعارض مع خصائص ذلك النمط.(٢٠)

ومن ثم أصبح لدى طلاب اليوم **ثقافة كونية** تجمع فيها شذرة من هنا وشذرة من هناك ، وتكون هذه الشذرات مأخوذة من الثقافات المحلية ، تارة ومن الثقافات الحديثة تارة أخرى ، لتكون ثقافة كونية ، وهذه الثقافة لا تظهر تلقائيا بقدر ما تجرى صناعتها عبر وسائل الاتصال فهى على رغم تجسدها فى صور واقعية فى سلوك وفكر الطلاب تتكون من بناءات عقلية مصنوعة وبناء عقلى أشبه بمفهوم الدولة التى تجرى صناعتها فى عقول المواطنين وأبنائهم عبر جماعات النخبة والمثقفين ، ومن خلال الممارسات والطقوس التى تعول على التقاليد تارة وعلى الثقافة الحديثة تارة أخرى.

- **ثقافة طلابية كونية لا تاريخ لها ولا هوية :**

على المنوال نفسه تُصنع ثقافة الطلاب من خلال عملية انتقائية يجرى بمقتضاها جمع عناصر ثقافية من هنا وهناك ، ووضعها داخل تقنيات الاتصال لتشكل أبنية ثقافية عبر قومية تتجاوز حدود المكان الذى انتقلت منه وحدود الزمان الذى ظهرت فيه (٢١) فأصبحت ثقافة الطلاب اليوم لا تتشابه بالضرورة مع الثقافات المحلية، ولعل وجه الاختلاف الرئيسى فى هذا الصدد هو ما يتعلق بتاريخية الثقافة، فالثقافة الوطنية عند آبائهم ثقافة الأمة أو الشعب أو الدولة فى أى وطن من الأوطان ، وهى

ثقافة ترتبط بتاريخ معين وبهوية معينة ، بينما ثقافة طلاب اليوم لا تاريخ لها ولا هوية، إنها تتعدى التواريخ الخاصة، وتتعدى الهويات الخاصة إلى الفضاء العالمى الذى لا هوية له، ولا ذاكرة له.

- **ثقافة طلابية منغمسة في التخبط الفكري والانحراف السلوكي :**

ثمة تساؤل هام وحيوى حول خصائص ثقافة طلاب الجامعات العربية في عصر العولمة ، وما الذى يجعلها تركن إلى هذه النزعة اللا تاريخية ؟ وللإجابة على هذا التساؤل يمكن تحديد أهم خصائصها وسماتها أنها **ثقافة يصاحبها فى الغالب خطاب تقنى وعلمى** تميل لأن تكون ثقافة موجهه تسعى إلى خلق هيمنة وثقافية تدعم صور خاصة وتخلق ذهنيات معينة ، **ثقافة طلابية نخبوية** لا تعبر عن حاجات محلية ولا تلتزم بأشكال ومضامين التراث الثقافى التى تنتقى منه ، وتنحدر من دوائر مبهمة ومتباعدة ، يستقبلها كل حسب إمكاناته وقدراته ، **ثقافة مؤججة تركز على القوة السياسية وإثارة النعرات والنزاعات الطائفية** ، **ثقافة إليكترونية** تشير إلى المعلومات والممارسات المتصلة بعالم الإنترنت غير المرتبطة بمكان أو زمان ، والذى تتداول داخله المعلومات الأمنية وغير الأمنية بكافة أنواعها ودرجاتها ومجالاتها ، **ثقافة عالم المعلوماتية** مكونة مفهوم **الجماعة الفضائية الافتراضية** تشكلت من قبيل من الطلاب لا يعيشون فى جماعة تجمعها حدود معروفة ولكنهم لا يعرف بعضهم بعضا ، وليست لهم أهداف واحدة أو مصالح واحدة ، كما لا يجمعهم تاريخ واحد أو وعى واحد ، ولا يشتركون فى معتقدات واحدة ، **ثقافة غرف الشات والكود الفضائي** الُمشكّل تجمعات اجتماعية ، تنتهي بتجنيد البعض منهم ضد أوطانهم بعد إقناعهم بأفكار متطرفة بل واستقطاب بعضهم في الممارسات والشذوذ والانحرافات الفكرية بنشر وتوزيع آراء بعض الزعامات الدينية الوهمية أو القيادات المرجعية.

## ٢ - مظاهر واقع الأمن الفكري والهوية الثقافية لدى طلاب الجامعات العربية

إن جذور معظم المشكلات والقضايا الحالية داخل الحرم الجامعى تعود أساساً إلى الصراع بين خصائص طلاب اليوم والنظم الاجتماعية المحيطة بهم ، مما انعكس على النظام الجامعى والشىء الخطير أن هناك احتمالا قويا لأن يسود هذا الصراع والتوتر فى المستقبل القريب إذا ما تمسكنا ومضينا فى هذه النظم الجامعية وسياساتها التثقيفية ، لتواصل إهمالها لخصائص واحتياجات طلابها ، حيث تفقد الكثير من العمليات التربوية إنسانيتها ، ومن هنا بات من الضرورى التصدى للكشف عن حقيقة خصائص طلاب الجامعات واحتياجاتهم لتحديد أزمتهم ورسم الطرق المختلفة التى تعمل على تفاديها، وفيما يلى طرح لمشاهد تقربنا إلى واقع الهوية الثقافية عند طلاب الجامعات العربية حيث تتمثل أزمة المجتمع الطلابى الجامعى الثقافية في:

- **التغريب الثقافي والانحراف الفكري وإضعاف الهوية الثقافية :**

فى عصر الانهيارات الكبرى وفى ظل آليات العالمية تحولت الثقافة الاستهلاكية إحدى مجالات تدويل النظام الرأسمالى إلى آلية فاعلة لتشويه البنى التقليدية، وتغريب الطالب وعزله عن قضايا وطنه ، وإدخال الضعف لديه والتشكيك فى جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية ، وذلك بهدف إخضاعه نهائيا للقوى والنخب المسيطرة على القرية الكونية وإضعاف النقد والمقاومة عنده حتى يستسلم نهائيا إلى واقع الإحباط فيقبل بالخضوع لهذه القوى أو التصالح معها (٢٢) ولقد شكل ذلك أحد أهم التحديدات التى تقف أمام بناء ثقافة طلاب الجامعات العربية الأهلية والحكومية لتحطم قدراتهم و تجعلهم يتباهوا بما لا ينتج محليا ، مستهلكين مالا يصنعونه ، فتترسخ عندهم قيم الاتكالية والتواكل والتطلع إلى زيادة حدة الاستهلاك على المستوى العام ، وتأثيرها المتراكم على هشاشة البنى الثقافية والتعليمية التقليدية فى المجتمعات الطلاب ونتيجة لذلك تم تغريب الثقافات الوطنية لدى الطلاب من خلال **آليات** معتمدة على التوكيلات التجارية الأجنبية ،توظيف العلم للاختراق الثقافى و الهيمنة على الثقافة العربية بهدف طمس الهوية، فالبرامج التى تبثها الإذاعات والفضائيات حتى العربية يلحظ بوضوح إظهار تفوق الحضارة الغربية ، وتغلغل قيمها حتى فى المؤسسات الثقافية. (٢٣)

- **خطورة التبادل غير المتوازن وإشكالية الهوية :**

إذا كان البعض ينقل ويردد مقولات سائدة فى سوسيولوجيا التحديث حول إيجابيات الاحتكاك ، والانتشار الثقافى الناتج عن نقل ثقافة المجتمع الحديث إلى المجتمعات التقليدية مع نقل التكنولوجيا إلى داخل البنى التقليدية من شأنه أن ينقل الأخيرة إلى مرحلة الحداثة، ومن ثم يستطيع تخطى الفوارق الزمنية التى تفصل بين المراحل التى تعيش فيها الجامعات العربية وبين المرحلة التى وصلت إليها الجامعات الحديثة ، ويتم ذلك من خلال **برامج التربية الدولية وبرامج الإخاء الثقافي** التي كثيرا ما تكون غير متناسقة من الجوانب الثقافية ، ففى كل حالات التبادل الثقافى غير المتكافئ ( الاختراق أو الغزو ) فإن الثقافات الأدنى تفقد تدريجياً مقومات استمراريتها ، وبذلك تتفكك وتنهار ، فالثقافات الأضعف لا تجد أمامها إلا التفكك والانهيار ُمحدثة إشكالية على صعيد الهوية ونمط الحياة الاجتماعية العربية ، حيث فقدان الاستقرار لدى الطلاب يشكل المصدر الخفى لضياع المجتمع بل وتجزئته.

- **الانحراف الفكري وإحياء النزعات الفكرية المتطرفة :**

إن موجات التحديث يمكن أن تحيّ النزعات الدينية الأصولية لدى الطلاب كى تحاول الدفاع عن الهوية الثقافية الضائعة أو التى بسبيلها إلى الضياع لو اتسعت دائرة التحديث، وبخاصة على المستوى الثقافى حيث ينتزع التحديث شرعية التفكير السلفى ويعطى لرواد التنوير مكانة فى صدارة المسرح الاجتماعى ، وهذا ما لا تقبله الثقافات التقليدية لعوامل ثقافية ودينية لها القوة والشرعية فى جامعاتنا العربية ، وكل هذا يؤدى إلى التفكك والازدواجية وضياع الهوية(٢٤) حيث تفرض أنماط

ثقافية وقوالب فكرية تهيمن على الحياة الفكرية والثقافية لدى شرائح كبيرة من الطلاب تعيد من خلالها صياغة الفكر الجماعى لهم بما يتناسب مع أغراض سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. (٢٥)

- **الانفتاح المعلوماتي وزعزعة السيادة الثقافية الوطنية:**

تعد البلدان العربية من أكثر بلاد العالم تأثرا بهذا الغزو حيث يجد المخططون للسياسات الجامعية المتعلقة بالمعلوماتية والثقافية الوطنية أنفسهم فى موقف لا يحسدون عليه ، فمن ناحية نحن فى حاجة إلى سياسة انفتاح معلوماتى وثقافى تؤهل الجامعات العربية للحاق بركب التطور والانخراط فى النظام العالمى ، والإفادة من التقنيات الحديثة للمعلومات والإعلام لدفع مسيرة التنمية فى بلادهم ، ومن جهة أخرى يقدرون الثمن الباهظ الذى يدفع مقابل هذا الانفتاح المعلوماتى المتمثل فى السيل المتدفق غير المنضبط من الثقافات والمعلومات تحت عناوين مثل : حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحرية التظاهر ، والذى يتخلل النسيج الثقافي لمجتمعات الطلاب ليشوه معالمها ويحيلها إلى مسخ ثقافى لا علاقة له بواقعهم أو بقيمهم الموروثة. ذلك أن افتقار الشباب إلى الانتماء أو شعورهم بالاستبعاد أو التحرر المطلق يمكن أن يكون سبباً رئيسياً من أسباب التمرد والاستياء يعبر عنه الطلاب بصور سلوكية وثقافية مختلفة عادة ما تكون غير وظيفية.

- **هشاشة الثقافة الجامعية إزاء خطر التحرش الثقافي :**

ترى شريحة منالطلاب أن القيم التى تنظم حياتنا تنبع من تقاليد تمتد جذورها فى عمق التاريخ لم تعد تتوافق مع ما أحدثته التقنية من تغير ، وهذا يعنى أن تكون هناك محاولات مستمرة لتكييف الثقافة القديمة – من وجهة نظر الطلاب - وتعديلها للظروف الجديدة حتى يمكن مجاراة التغير التكنولوجى ، فالتغيير يحدث حتى وإن كان الأفراد غير واعين بهذه التحولات التى تحدث حولهم. خاصة وأن التعامل مع الثورة المتسارعة للاتصال والمعلوماتية لا يتميز بتجانس الرؤى والتقييمات كيفما كانت النتائج الإيجابية لهذه الثورة على مستويات أخرى ، فهى تعد موضوعا خصبا لموجة انتقادات خاصة من طرف الطلاب ، انتقادات لا تكشف عن دافع ذاتى يتمثل فى رد فعل إزاء الخطر المعلوماتى المهدد للمكانة التقليدية للهوية الثقافية ، بل انتقادات تكشف عن دوافع موضوعية يحملها كل المعنيين بالآثار السلبية للإعلام والمعلومات من آباء وتنظيمات المجتمع المدنى والخاسرين للحرب التجارية فى هذا الميدان ، منها : طابع الهيمنة الثقافية ، وهيمنة طابع الإثارة على حساب الحقيقة فى المنتج الإعلامى ، وسيادة الإشهار والدراسة فى الأوراق الصفراء للمشهورين فى المجتمع ، وصناعة الرأى العام والإعلان عن علو سلطته خاصة فى الأحداث والوقائع السياسية والفضائحية.

- **تقليدية أساليب الرقابة الجامعية أمام الانفتاح الإعلامي والثقافي :**

القيم والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية أصبحت عرضة للتغير والتبدل عدة مرات لا من جيل لآخر وإنما فى حياة نفس الجيل ، ويتطلب هذا من الفرد والمجتمع أن يكونا سريعا التكيف مع كل تحول وتبدل([٢٦]) فخاصية الانفتاح الإعلامى الثقافى الحضارى العالمى ، جعلت الحدود السياسية للدول ووسائل الرقابة التقليدية أدوات بدائية عديمة الجدوى ، وقليلة الفاعلية فى منع وتحصين الشباب والطلاب ضد استقبال محتويات الرسائل الإعلامية الواردة من ثقافات أخرى مختلفة ومتناقضة ، بالإضافة إلى تغير الأهمية النسبية لقوى وعلاقات الإنتاج وهى المكملة لخصائص الرؤية العصرية ، يعايش الطالب العربي بواكيرها لتضعه أمام أزمة حقيقية وتحديات مصيرية تشكك بشكل مباشر في فلسفته الخاصة نحو جامعته ووطنه وانتماءاته السابقة.

- **إهمال الجوانب الأخلاقية في قبول الطلاب بالجامعات :**

إن قواعد قبول الطلاب لا تعتمد إلا على مجموع الدرجات التى حصّلها الطالب فى نهاية المرحلة السابقة ، وهو اختيار يقوم على أساس معيار واحد هو المقدرة الذهنية أو التحصيلية فقط ، وهو معيار فى احتياج إلى كثير من المناقشة ، فبات من الضرورى وضع معايير موضوعية أخرى تأخذ فى الاعتبار الخصائص الأخلاقية والسمات الشخصية والانتماءات الوطنية والولاء وغيرها من الجوانب ، لا سيما وأن الدراسات أثبتت أن الكفاية العلمية للطلاب ليست كافية بمفردها لنجاح الطالب فى دراسته الجامعية والحفاظ على هويته الثقافية وانتماءاته المستقبلية.

- **إملاء آراء الكبار على الطلاب دون تدريبهم على الاختيار والانتقاء :**

من الملاحظ أن النظام الاجتماعى والأسرى لدينا يُرجّح آراء الكبار ويقوم على أساسه الطلاب باختيار المسائل الكبرى فى حياتهم مثل الجامعة ونمط ونوع الكلية والتخصص الذى يتخصص فيه بها والوظيفة التي لايرغب فيها والزواج وغيره من الأمور الهامة والحياتية بالنسبة للشباب الجامعى ، وهذه الأمور كلها قد تفقد الطالب الثقة فى آرائه الخاصة ، بل وتشجعه على محاكاة الآخرين وتقليدهم تقليدا أعمى ، وقبول آرائهم دون تفكير أو نقد متسائل ، مما ينمى فيه روح الإذعان للسلطة وللغير ممن يوجهه ، بل ويدفعه إلى أن يتعرف عبر وسائل الإعلام إلى ما استجد من أساليب عصرية للتعرف على ثقافات وعادات وتقاليد أخرى يؤسس لنفسه منها ثقافة دولية تتميز بالجديد وتتعارض مع ثقافة الكبار المغلقة من وجهة نظرهم والتي تقع ضمن هياكل تقليدية.

- **إرهاصات طلابية تتباين بين التقليد / الاندماج والاغتراب / الانفصال :**

هناك اجتهادات كثيرة قد قدمت فى مجال تفسير ودراسة الشباب الجامعى وثقافته فى الدول العربية وتوزعت ما بين الدعوة لاعتبار الشباب يمثلون ثقافة فرعية تحمل سماتها وتوقعاتها وقيمها المتفردة ، أو تفسير الحركات الطلابية على أساس مفهوم واحد هو الاغتراب ، من زاوية الرد عن التساؤل : هل تمرد الشباب مرجعه اغترابه أم اندماجه ؟ كما أن هناك تفسيرات أخرى يستند بعضها

إلى نظرية الدور واسهامات النظام التعليمى فى تحديد هذا الدور وتوقعاته والبعض الآخر إلى أفكار التمرد على الزمان أو الصراع بين الأجيال .. الخ ، على أنه من اليسير أن نتبين عناصر مشتركة بين الطلاب أيا كان المدخل التفسيرى لحركاتهم فهناك تأكيد على أنهم يحملون إرهاصات ثقافية جديدة تقترب من الانفصال التام عن التقديس الأعمى لثقافة العقل والعلم والتكنولوجيا : ثقافة تتسم بالتلقائية والبساطة وتسعى للتملص من النزعات النفعية ، وتمد أمامهم طرق التنمية الذاتية لخبراتهم وطاقاتهم وإمكاناتهم دون ضوابط أو قيود.

- **إرهاصات طلابية تميل إلى الانسلاخ والهروب:**

إجمالا طلاب الجامعات العربية اليوم لهم موقف من الحياة وموقف من الجامعة نفسها ، فموقفهم من الحياة يتلخص فى أن العمل والوظائف التقليدية قد فقدت جاذبيتها لهم عما كانت من قبل ، وبخاصة شباب الطبقة المتوسطة ، كما أن هؤلاء الطلاب قد زادت اهتماماتهم بالخبرات الداخلية والعواطف الإنسانية وتلقائية الشعور ، فى مقابل ابتعادهم عن مظاهر البيئة الخارجية والواقع العقلانى اللاإنسانى ، وترتب على هذا ضعف في التفكير وقلة التأمل فى مشكلات الوطن والبيئة والمجتمع المحيط بهم ، كما ظهرت عند طائفة منهم تيارات معادية تبددت فى تزايد الاهتمام بأمور التنجيم وقراءة وجماعات عبدة الشيطان والتفجيرات الإرهابية... الخ ، كذلك حدثت تغيرات جذرية فى المواقف النفسية لهؤلاء الطلاب أهمها : الإحساس بالحياة على حساب هدم جدار الزمان والسباحة ضده ، فأخذت تتناقص سلطة الكبار عليهم على مختلف المستويات : الآباء والمعلمين والدعاة ورجال الدين وأخيرا على مستوى الدولة ، وقد يعتبر البعض هذا ثمرة للاتجاهات التاريخية والاجتماعية إلى جانب غيرها من العديد من العوامل الأخرى.

- **بث الآراء المعلبة وغسيل العقول لترسيخ ثقافة التمرد والانسحاب :**

توضح ظواهر تمرد الطلاب الجامعيين كيف أنهم أصبحوا يتحولون عن النظم المفككة إلى ميادين ذات مجال واسع وثقافة عالمية جديدة ، بل يعاني الطلاب من عمليات غسيل المخ اليومية التى تلاحقهم أينما كانوا ، فكل آرائهم معلبة من قبل وسائل الإعلام ، فتجهزها وتسوقها برامج النت والدردشة وتبثها الإذاعات المرئية والمسموعة وفى الصحف والكتب والنشرات وما عليهم إلا أن يتعاطوها بهوادة أو يتجرعونها قسرا ، وهنا نستطيع أن نرصد اتجاهين :

- **اتجاه التمرد** : والتوجه مباشرة إلى العنف الزائف ، أى صورة التمرد لمجرد التغيير دون وعى أو تحمل لمسئولية ما بعد التغير ، تمرد ضد كل الأطر الاجتماعية التسلطية والأسرية والدينية والسياسية التى تنال من حرياتهم وخبراتهم وتشعرهم بضآلتهم ، وضد كل النظم القيمية السابقة ، وضد كل النظم التربوية والتعليمية ، فيقتنعوا بأنهم ضحية تغيير القيم الاجتماعية حيث فقدوا الثقة فى القديم و لم

يجدوها فى الجديد ، والموقف السائد هو إظهار نوع من العقاب البدائى ، كرد فعل فورى للتمـــرد دون اعتبار أو تفهم لدوافع الطلاب.

- **اتجاه الانسحاب و ثقافة الصمت** : اتجاه هروبى يتمثل فى خروج فئة منهم من حضانة أسرهم ، ليقيموا خارج نطاقها بعيدا عن سيطرتها وتسلطها ، ليعيشوا منفصلين ، يقضون أغلب نهارهم أحيانا على المقاهى أو فى التجول ، ينغمسون في ممارسة عادات غير صحية بينهم ، كانتشار تعاطي التبـــغ والكحوليات والمواد المخدرة وممارسة العنف بكل أشكاله وقيادة السيارات برعونـــة ( التفحـــيط ) وحمل السلاح ، يتهربون من عبء سلطة الآباء ، مسجلين نوعا من الاحتجاج الصامت فى قلـــوبهم ثورة كامنة ، بعضهم يؤثر إزاءها الخضوع ، يكتسب ثقافة الصمت ، يقل تحمسهم لعملية التعلـــيم التعلم ، ويسعى لاكتساب معارف وقيم ثقافية جديدة قد تكون غير مناسبة للعادات والتقاليد العربية ، لا يخفون احتقارهم للنظام الجامعي الذى يظهر الاهتمام المتسم بالاحترام.

- **البطالة وتبدد الأمل فى الحصول على وظيفة بعد التخرج :**

ينشأ صراع لدى الطلاب نتيجة التفاوت بين طموحاتهم المرتبطة بأوضاعهم وبـــين الآفـــاق الفعلية المتاحة أمامهم وما يواجهونه من بطالة بعد تخرجهم فيشكل أحد المحاور التى يرتكـــز عليهـــا التمرد الطلابى ، حيث يشعر أغلبهم بأنهم يقدمون تضحيات بالنسبة لإمكاناتهم وظروفهم ورغم ذلك وبينما يفترض أن تلتفت سياسات النظم الجامعية لخصائصهم واحتياجاتهم الجديدة يجدوا تجاهلا كبيرا ، فعندما يجد الطالب نفسه مضغوطا من الناحية المالية ، فإنه يظل مهموما وبقدر ما يفكر فى المستقبل لا يجد ما يخفف عنه فى المستقبل المأمول ، وأهمها تبدد أمله فى الحصول على وظيفة ، فيتحول فكرة المهموم نحو الأحاديث المبهمة وتوجيه الانتقادات الحادة للجيل والقائمين على شئون الحكم في بلده.

- **تقبل الطلاب لبرامج ثقافية متهالكة ومقررات مفككة :**

مهما كانت جدية الطلاب فإنهم يتجهون إلى تحقيق أهدافهم من خلال برامج جامعية شبه متحجرة مفككة ، لا يشتركون فى صنع القرارات الجامعية التى تؤثر فيهم ، فالمفترض أن يتم التعلم الحقيقى والفعال فى بيئة جامعية تعاونية مثيرة للتساؤلات تسمح بها وتتجاوز معها ، ولكن الـــضغط النفسى السائد فى هذه النظم الجامعية يُسهم فى خلق ثقافة جامعية كل مهمتها إحباط أى تحدٍ طلابي مُتفتح للقضايا الحرجة أو الصعبة أو أى اتجاه يُزكى المبادرات الطلابية لتحدى المجهول للبحث عـــن الحقيقة ، كما تعمل على إضعاف ثقافة الابتكار والتجديد المثمر وما يتفق مع عادات وتقاليد المجتمع العربى.

- **الاحتجاج الطلابي والهروب الثقافى نحو الجماعات الدينية المتطرفة:**

تسعى السياسات الجامعية إلى تعريف الطلاب بأمور هامة فى المرحلة الراهنة مثل مـــا هيـــة العولمة الثقافية ، وفرص الثقافة الوافدة وأثرها فى الانتماء والهوية العربية ، وتوضيح الفرق بين الثقافة

الإسلامية وغيرها من الثقافات الأخرى التى تلتقى جميعها فى احترام حقوق الإنسان والاحتفاء بالقيم والأخلاق وإعلاء شأنها ، وكل هذا أو أياً منه كان ومازال يثير احتجاج بعض الطلاب فيحاول الهروب بالاقتراب أو الانضمام للجماعات الدينية أو الحزبية المتطرفة أو اتحادات الطلاب أو التسكع على المقاهى والاستراحات ، حيث تثار المناقشات الحامية سياسية وثقافية وفنية وغيرها ، حيث يكون اندماجه فيها أحد عوامل تسكين اغترابه ، وإتاحة الإثارة الساخنة التى يفتقدها فى حرم الجامعة ، وتؤهل له الفرصة لأن يتصرف بحماقة وأن يصرخ فيصبح زعيما متمردا يدعو للمظاهرات والخروج على السلطات والقوانين المنظمة للانضباط والأمن. (٢٧)

- **ترسيخ ثقافة الإذعان وقبول الآراء دون تفكير ونقد وتحليل :**

النظام الأسرى والاجتماعى لدينا يرجح آراء الكبار ، ويقوم على أساسه اختيار المسائل الكبرى فى حياة الطلاب مما يفقدهم الثقة فى آرائهم الخاصة ، مما ينمى فيهم الإذعان للسلطة ولكل من هو أقوى ، فنجدهم يميلون إلى محاكاة الآخرين عبر شاشات الإنترنت والمدونات الإليكترونية وقبول آرائهم دون تفكير أو نقد متسائل ، وهذا من أهم أسباب أزمة طلاب الجامعة، فهو يولد لديهم المقاومة الكامنة التى تبقى مكبوتة طالما أن السلطات التى يوجه ضدها عنصر المقاومة تظل لديها السلطة الحاسمة لإسكاتها ، فالتعليم الجامعى الحالى يقوم على نظام تأخرى مميت ينقصه احترام فردية الطالب الإنسان ، وتربطه النظم الصارمة فى الحضور والمجموعات والتقديرات والتدريس والدرجات كل هذه الأمور تجعل التعليم أداة للامتصاص التام لوقت الطالب وثقافته وهويته الذاتية.

- **تجاهل احتياجات الطلاب والتعامل معهم كغير ناضجين :**

غير خفى أن برامج بعض الجامعات العربية لا تترك للطالب حقه فى تقرير أى نقاط الدراسة يدرس وما اهتماماته الدراسية الحقيقية ، فالمقررات المفروضة قد تناسب برنامج طالب معين فى حين لا تناسب طالبا آخر ، كما لا يستشار طالب الدراسات العليا فى نقاط بحثه غالبا ، والملفت للنظر أنه بالرغم من اتفاق هيئات التدريس على احتياج المناهج والبرامج إلى التجديد والتغيير - تلك التى أقرها الطلاب قبلهم - فإنهم يعارضون بشدة إشراك الطلاب فى لجان تغيير هذه البرامج أو تطويرها ، وهذا تجاهل صارخ لاحتياجات طلابنا ومعاملتهم كأناس غير ناضجين ، ويتناسون أن مساهمة كهذه فى اتخاذ القرار سوف تزيد من دوافعهم الداخلية ومبادراتهم الشخصية.

- **زيادة مهام وأعباء أعضاء هيئة التدريس والشعور بعدم الاستقرار:**

إن قيمة الجامعة تظل مرهونة بقيمة هيئات التدريس بها وكفاءتهم العلمية والثقافية ، ويجد المتأمل لأوضاع أعضاء هيئة التدريس بالجامعات العربية أنها تتسم بعدم الاستقرار فهم يعاملون معاملة الموظفين الحكوميين ، ويتقاضون أحيانا مرتبات لا تتفق ومكانتهم الأدبية ومسئولياتهم العلمية

والاجتماعية والتثقيفية تجاه طلابهم ، وعادة ما تكتمل مرتباتهم بمكاسب أخرى إضافية من جراء الامتحانات أو وظائف أخرى مكملة أو انتدابات واستشارات ، ونتيجة لهذا زادت أعباء الأساتذة فى جامعاتنا زيادة كبيرة ، وترتب على هذا كله ضعف في العلاقات بين الأساتذة والطلاب ، كما أنيطت بالمعيدين والمدرسين المساعدين مهام تدريسية فى محاولة التغلب على النقص.

## ٣ - السياسات الجامعية العربية ومحاولات تحقيق الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية

لا يمكننا إطلاقا أن نتجاهل كعرب لنا خصوصيتنا وهويتنا الثقافية المتميزة ، الأبعاد السلبية والخطيرة والوجه الآخر / الوجه الثقافى الذى يسعى إلى تأسيس نظام ثقافى عالمى موحد أساسه العقلانية المعيارية التى تقوم على التنميط الثقافى الكوني وقولبة القيم والسلوكيات على نحو غربى بمثابة المرجعية الثقافية الوحيدة(٢٨) حيث تُفرض على المؤسسة التعليمية الجامعية أن تكون هى الآلية الأساسية لتجذير القيم والسلوكيات التى تحملها الثقافة الجديدة / الغربية وتسعى إلى تكريسها لدى شباب المجتمعات غير الغربية(٢٩) ومن هنا تأتى أهمية تناول محاولات الجامعات العربية لتحقيق الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية لدى الطلاب ، انطلاقا من أهمية دور الجامعات وما تبثه من ثقافة توعوية في المجتمع الطلابى بها للعمل على تأكيد **الهوية الثقافية العربية والإسلامية** فى الجامعات العربية ، وحماية للثقافة الوطنية عند الطلاب من التحديات الثقافية ، ومن ثم دورها الراسخ فى تحفيز التفكير المتعمق فى مواجهة التحديات الثقافية التى تواجهنا ، وفيما يلى سوف يتم تناول واقع هذه الأدوار لمواجهة هذا الخطر وحتى لا ننساق جميعا نحو ثقافة أحادية الأبعاد والمرجعية :

### ٣-١- ضعف دور الجامعات العربية فى تحقيق الأمن الفكري:

حتى نستفيد من الطاقة الطلابية فى تنمية المجتمع كان لابد من قيام التنظيم التعليمى على أساس من مشاركة الطلاب فى تسيير الأمور الاجتماعية والمشاركة فى رسم السياسات حتى يتجاوز الطلاب حالة الاغتراب ، وهو التوجه الذى أخذت به بعض الجامعات بآليات وبرامج التحديث كى تواكب التغيرات والتطورات، فشريحة الطلاب من أكثر الشرائح استجابة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التى يمر بها المجتمع ، ولعل فى مقدمة التحديات التى يواجهها طلاب الجامعات : التحدى الثقافى، والتحدى الاجتماعي، والتحدى المرتبط بالأمن الفكري والقومى ، فبمراجعة سياسات الجامعات العربية خلال العقدين الأخيرين يظهر تراجع دور الجامعات من خلال رسالتها والدور الذى ينبغى أن تقوم به في الحفاظ على الأمن الفكري لدى الطلاب داخل الحرم الجامعي إذ يلاحظ :

- **تراجع رسالة الجامعة ودورها فى عصر التحرشات الثقافية :**

رسالة المؤسسة الجامعية العربية ومستقبلها تقع فى سياق تحدى جديد فيما عرف بتيارات العولمة وعواصفها السياسية والثقافية، وما ارتبط بها سببا ونتيجة من الثورات العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية ففى أجوائها تولدت مصطلحات النظام العالمى الجديد والقرية الكونية، واقتصاد المعرفة

واقتصاد السوق الطليقة وحرية التجارة والاستثمار والشركات المتعددة الجنسيات، ونهاية التاريخ وصراع الحضارات وما بعد الحداثة **والهوية الثقافية** إلى غير ذلك من المفاهيم والنظريات والرؤى ، إلا أنه مع هذه المعالم والأفكار ظهرت قيم طاغية لعل أبرزها قيمة الاستنساخ الثقافي الشرسة التي يحكمها استهداف التقليد بكل وسيلة ، ففى طياتها ينمو الفساد والعنف والجريمة والأنانية وتغليب المصلحة الذاتية على المصلحة العامة.

- **ضعف دور الجامعة فى الحفاظ على المعايير الثقافية التقليدية:**

أصبح على الجامعات ومعاهد التعليم العالى أن تكف الآن عن القيام بدورها كمؤسسة تكوينية عادلة فى بيئة مستقرة متكيفة مع الحاجات الثقافية والاجتماعية المحلية فقط ، بل يتعين عليها أن تمسك بتلابيب المتغيرات التى تتعرض لها كل من الأسرة والمجتمع ودور العبادة ، نتيجة للثورة التكنولوجية الجارحة، وتأثيرها على أشكال الوحدات الاجتماعية التقليدية ، ونتيجة لأمور أخرى فإننا نعيش فى عصر يوصف بأنه يقترب من عالم التباين أو الاختراق اقترابا أوثق من أية تجربة اجتماعية سابقة معروفة ، وبعبارة أخرى يقترب من حالة غموض بالغ وعدم يقين شديد حيث لا يدرى أحد ما هو نوع السلوك المتوقع لأى شخص فى موقف معين.(٣٠)

**٣-٢- عدم قدرة السياسات الجامعية على مواجهة التحديات التي تنزع نحو الهوية:**

تواجه الجامعات العربية فى إطار مساهمتها فى تنمية المجتمعات والطلاب العديد من التحديات الداخلية تلك التى تواجه التطوير الذاتى للمؤسسة وتسببها العوامل الداخلية الكامنة فيها ، مثل قدرة الجامعة على تقديم تعليم وتدريب متلائم مع احتياجات وتطورات المجتمع المحلي والعالمي ، وقدرتها على تنسيق أعمال الدراسة العلمية ، وقدرتها أيضا على الانفتاح على المجتمع وتقديم الخدمات المتعددة التى يحتاجها وغيرها من التحديات التى تفرض على الجامعة من خارج إطارها المؤسسى والمرتبطة في الوقت ذاته بالتفاعلات الداخلية للمجتمع أو بتلك التحديات التى يفرضها الواقع الدولى الذى ينتمى إليه ذلك المجتمع.(٣١)

- **ضعف دور الجامعة فى مواجهة التحديات الداخلية :**

إن جامعات العالم العربي كلها وبدون استثناء تعاني بدرجات متفاوتة من مجموعة المشاكل والاختناقات التى تؤثر على كفاءتها الداخلية ، من أهمها : قدرة المؤسسات الجامعية على الاستيعاب فى ظل التزايد السريع لأعداد الطلاب ، وقدرتها على تقديم تعليم يتواءم مع التغيرات التكنولوجية سريعة الحدوث ، والتغيرات التى تحدث فى طبيعة المهن والوظائف(٣٢) وعدم قدرتها على إحداث نوع من التوازن بين متطلبات الطالب ومتطلبات المجتمع وكذلك متطلبات العصر بما يحويه من متغيرات ثقافية شتى ، وقدرتها على إحداث نوع من التوازن بين وظائف التدريس والدراسة وخدمة المجتمع فى

إطار العلاقات المتداخلة بين جميع هذه المتغيرات المسببة لهذه التحديات وأثرها على الواقع اليـــومي المعاش من قبل الطلاب.

- **ضعف مساهمة الجامعة فى مواجهة التحديات المعلوماتية :**

إن التطور المذهل لتقنية المعلومات ساعد على خلق توسيع لنطاق الفضاء المعلوماتى على الصعيد الطلابي ، فأخذ هذا الفضاء الجديد يشكل الأساس الموضوعى لتطور عمليات العولمـــة فى مجـــالات الثقافة والإعلام وغيرها من التوجهات الفكرية لديهم ، وكل تلك التحولات خلقت حالة من التدمير الخلاق عند قطاع كبير من طلاب الجامعات ، شهدت تدريجيا فصولا من هـــذه العمليـــة الثوريـــة والإشكالية تكمن فى **تحديد أين الهدم وتصفية القديم ؟** (٣٣) ومحاولة استشراف نصيبنا من عمليات الهدم والتهميش / الخسائر من ناحية ، ومن عمليات التخليق الجديد / المكاسب من ناحية أخرى ، بل كيف تتداخل مع عمليات الخلق الجديد للوظائف والعمليات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعيـــة والتعبيرات الثقافية والسلوكية الجديدة فيما بينهم.

- **تراجع الجامعة عن مواجهة تحديات الإرهاب الفكري والقومى :**

تمثل ذلك في فى الحفاظ على سيادة الدولة وسياجها الفكري الأمنى والثقافى ، فقد عبّرت بعض الجامعات عن استيائها جراء تعرض سيادتها لتهديدات حدثت وأخرى محتملة من جراء توظيف شبكة الإنترنت فى نشر الأفكار الهدامة والمعلومات الخاصة بقيادات الجماعـــات الطلابيـــة والتنظيميـــات الإرهابية أو ما سمى بالفئة الضالة ، بل نشاط تجارة وترويج المخـــدرات والانحرافـــات الـــسلوكية والإباحية والاعتصامات الطلابية ، إلا أننا لم نجد أى جامعة عربية أصدرت أية قرارا يتعلق بهذا الأمر بل تركته لرجال الأمن والشرطة التي كثيرا ماتكون بعيدة كل البعد عن الحرم الجامعي وما يتم فيه من علاقات وتنظيمات ، فالمعادلة صعبة كيف نتعامل مع الإنترنت لتحقيق أقصى فائدة ممكنة لطلابنا فى ظل أقل الخسائر المتوقعة ، وبالطبع لن نصل إلى ذلك أبدا ما لم يتم إخضاع تحديدات الظاهرة للبحث الشمولى الجاد ، وتعميق دور الشباب المعرفي فى هذه القضية الشائكة.(٣٤)

## ٣ - ٤ - السياسات الجامعية وتنمية الهوية الثقافية لدى الطلاب :

تنوعت قرارات وزارات التعليم العالي والمجالس العليا للجامعات في أغلب الدول العربية لتشمل قرارات تتعلق بالمؤسسات التعليمية ، وقرارات تتعلق بأبعاد العملية التعليمية والثقافيـــة والأنـــشطة الطلابية بعد الحادي عشر من سبتمبر ، خلصت إلى تأكيد مبادئ عـــدة منـــها : (٣٥) اســـتقلال الجامعات مبدأ مسلم به وهو مقرر فى القوانين واللوائح الجامعية وتسعى لأن تؤكده القيادة السياسية في بعض الدول ، وأن استقلال الجامعات لا يعنى انعزالها عن المجتمع، فالجامعة جزء منه تتأثر به وتؤثر فيه ، والتوجه نحو تمتع الجامعات بالحرية الأكاديمية والاستقلال الذاتى وإدارة شئونها بنفسها وتصرف أمورها فى حدود النظام العام .

- **خطأ الجامعات العربية فى الانطفاء على الذات ومواجهة تحدى الآخر :**

بين ما كانت الثقافة الوطنية العربية بكل تياراتها ومدارسها التحديثية والعقلانية الأصيلة التى تماشى نموها وتفاعل مع الثقافة العالمة لتواصل مسيرتها نحو إنضاج تصور مثقف وأصيل ونقدى عن كل من الذات القومية وعن الآخر ، وبينما كان حل قضايا الاستقلال الوطنى منذ مايزيد على منتصف قرن استعادت السيادة الوطنية الكاملة بقيام حكم عربى وطنى بالمعنى الكامل والحديث للكلمة أدت إلى فك عقد سيكولوجية اجتماعية وسياسية وفكرية ، كانت قد تحكمت طويلا فى صياغة علاقات الوعى الوطنى بكل من تراثه ( مكونات الذات القومية ) بالمؤثرات الوافدة إلينا من الغرب ( المكونات الثقافية السلبية والإيجابية الوافدة من الآخر الغربى ) أدى فك تلك العقد إلى تأسيس وصياغة علاقات للوعى الوطنى ، متوازنة وإيجابية ونقدية([٣٦])

وبينما كانت تلك العملية المركبة والجدلية التاريخية والبطيئة تكتسب زخمها وتزداد نضجا فى داخل بنية الجامعات ، كانت هناك عوامل وعناصر أخرى مضادة تعمل على تدعيم وتمكين التصور المضاد المناقض البديل وغير العقلانى ، غير النقدى عن الذات القومية وعن الآخر الغربى معا : تصور جامد متحجر، ومتعالم مرتكز على الذات ، أحادى النظرة ومتعصب فى آن واحد عن الآخر تبدو فيه الحاجة لذات منطوية على تفسير الآخر بأنه العدو الثابت للذات حضاريا ، ولقد أثر هذا التصور الجامد الماضوى والنفعى غير العقلانى وغير الواقعى ولا العلمى معا من تطورات على الطلاب ، صاحبها بدء عمليات تبادلية واسعة للعمل والإقامة بين القيادات الجامعية داخل كل من العالمين القطري والعربى على اتساعهما ، غير أن العامل الحاسم الذى ساعد على تدعيم وتقوية بعض الأنظمة المرتبطة ارتباطا عميقا بأنواع مختلفة من ذلك التصور نفسه عن كل من الذات القومية وعن الآخر.

- **اختلاف رؤى الجامعات العربية حول كيفية مواجهة الغزو الثقافى :**

يستطيع المراقب تلمس الجهود التي بذلت في توظيف الإمكانات المادية والبشرية لتعزيز حضور البعد المعرفي والثقافي على مستوى الجامعة ، حيث شهدت الساحة الجامعية الطلابية والثقافية بها قفزات وتحولات وتطورات عديدة شملت البنية بصورتها العامة ، ولعل كان من أبرزها البعثات التعليمية التي ساهمت وبصورة أساسية في خلق شريحة قادرة على التعاطي مع البعد الثقافي بأوجهه الإبداعية والنخبوية الأخرى وخلقت أرضية خصبة ومناسبة لنمو وتطور اتجاهات ثقافية جديدة ، ومع انتشار البث المباشر وما ترتب على ذلك من برامج ثقافية وفنية ومواد إعلامية لا تتناسب مع تقاليدنا العربية والإسلامية ، وتأثيرها على أجيالنا الجديدة بالإيجاب أو السلب طرحت قضية الغزو الثقافى الخارجى نفسها على المناقشات والندوات بالساحة الجامعية حيث يقوم الآن جدل متسع بين أعضاء هيئة التدريس والمثقفين يتبدى فى سؤال جوهرى :

هل الغزو الثقافى الغربى قضية واقعية لها من الآثار ما يمكن أن نلمسه ونراه ونتحقق منه ؟ أم أن الغزو الثقافى مجرد وهم ؟ (٣٧) وبين أصحاب إنكار ظاهرة الغزو الثقافى ، فالرأى الذى يهول من مخاطر يضىء لنا الطريق بكل الصدق والوضوح من أجل التفاعل الجاد والمواجهة الجامعية المشتركة الصريحة مع ظاهرة الغزو الثقافى الأجنبى. وبرزت الأهمية الكبرى لهذه القضية فى ظل عدد من المتغيرات المعاصرة فى مقدمتها تصاعد الشكوى من الأخطار التى تصاحب ظاهرة الانحراف الفكري والعقائدي وماصاحبها من عمليات تفجيرية و إرهابية لبعض الطلاب ، حيث برزت صيحات المطالبة بحماية الهوية التى ارتبطت بالشخصية المتميزة للحضارة العربية وتحصين البناء الاجتماعى للمجتمعات العربية ضد عمليات الهدم والتخطيط التى تدخل فى إطار مخططات دولية تراهن على تجزئة الوطن إلى كيانات ثقافية واجتماعية بل وتفتيت الكيانات الاجتماعية داخل جامعات الدولة العربية الواحدة بما يفضى إلى تشويه الثقافة العربية والحد من دورها التوحيدى.

### ٣-٥- المؤسسات الجامعية العربية وإشراقات تنمية الهوية الثقافية :

برزت الإدارات واللجان الثقافية والأسر الطلابية في الجامعة وغيرها من اللجان والأنشطة التي انتشرت في المؤسسات الجامعية لتمارس أدوارها وجهودها ، فاستطاعت أن تفرز بعض من النتائج الإيجابية الملموسة من مهرجانات وفعاليات معروفة لدى الجميع ، هذه الفعاليات ساهمت بشكل أو بآخر في إذكاء الحضور الثقافي للطلاب بصورة مستمرة ، حيث برزت الجهود الفردية التي بذلتها شريحة من المبدعين من اعضاء هيئة التدريس ، لنجد أن هذه البانورامية من تعليم وإدرارت ثقافية وأفراد كانت لها ثقلها ووجودها ، فشهدت الجامعات طفرة ثقافية وعاشت إشراقات وحالة ارتقت بالثقافة والتوعية الأمنية إلى مستويات متعددة يمكن اعتبارها الذروة الحقيقية التي عاشت فيها الحركة الثقافية والأمنية أبلغ صورها وأنشطها ، لكن سرعان ما وصلت إلى أقصاها لتبدأ ولأسباب عديدة حالة تراجع وانكسار وصولا إلى ما هي عليه اليوم من مراوحة في المكان وجمود يكاد لا يحتمل ، لتصبح العملية الثقافية في الجامعات العربية برمتها كنوع من ذر الرماد في العيون ، وإنتاجية قائمة على الاستحياء مع بعض الاستثناءات الطفيفة طبعا في جامعات بعض الأقطار.

- **قلة العمل على تأمين انتماء الطلاب الفكري وبناء الوطنية :**

جيل الطلاب كما هو مهيأ لتقبل الفكر الإسلامى العربى والانتماء إليه بقوة وحيوية وإخلاص متناه ، فإنه عرضة أيضا للانتماء إلى التيارات الفكرية والسياسية المنحرفة ، وفي فترة من الفترات استحوذ الفكر الماركسي والغربي الرأسمالي على مساحة واسعة من جيل الطلاب ، وتشهد المرحلة الحاضرة تحولات هائلة في عالمنا العربي ، تحولات الصراع الفكري والسياسي والاجتماعي في وقت يشهد فيه العالم تحولاً تقنياً وعلمياً هائلاً ، حيث مكن القول أنه لم يدرك جيل الطلاب الراهن ما انطوى عليه الموقف من خطط سرِّية وأهداف عدوانية للقضاء على الإسلام والإبقاء على تخلف

العرب والمسلمين ، وغزوهم فكرياً وحضارياً ، غير أن عوامل الوعي أوجد حالة واسعة وعميقة من مراجعة الذات ، والتأمل في الاندفاع نحو الفكر الغربي في ظل بعض الأزمات السياسية ، فقد اكتشف الطلاب أن الإنسان ضحية هذه الحضارة الّتي تمارس الإرهاب وقتل الشعوب ونهب خيراتها ، وجاءت هذه الحالة كنتيجة طبيعية لغياب استراتيجية وسياسة تعليمية ثقافية داخل وبين الجامعات إلى جانب الاتساع المتزايد بين المعطيات الفعلية للعمل الثقافي ومعطياته والاختلالات الكبيرة التي شهدها المجتمع المحلي والخروقات المعرفية والانتمائية التي أوجدتها الوتيرة المتسارعة لعملية الانفتاح الاقتصادي والعولمي.

- **اجترار العلم التربوي الغربي وتدهور الألفاظ المتداولة بين الطلاب:**

يشير واقع بعض الجامعات إلى استخدام الغة الإنجليزية وغيرها للتداول والتعليم والتسجيل والقيد والتغني بهذا الأمر وكأنه غاية في حد ذاته ، وكان نتيجة ذلك أن صوت هؤلاء الأكاديميين انشغلوا بترديد الذي تنتجه الجامعات الغربية ، ولذا لم يعد صوتهم مسموعا ، بل إنه فى أحيان كثيرة يكون صوتا منكرا حيث يبدو للمستمعين إليه أنه صوت يأتى من عالم آخر غير العالم الذى يعيش فيه الناس ، حيث يهتمون اهتماما لا مثيل له بمتابعة ما يجرى فى خارج الحدود وبتدريسه باللغة الإنجليزية وعدم ترجمته إلى اللغة العربية التى تنص عليها قوانين تنظيم الجامعات بأن تكون لغة التدريس([٣٨]) وهذا بالطبع له أثره فى التمسك والحفاظ على اللغة العربية عند طلابنا فى مقابل المد الإعلامى والثقافى الغربى والذى له بالطبع دوره الكبير فى الألفاظ المستخدمة والمتداولة بين شباب الجامعات العربية والتى لا تمت للغة العربية بصلة ( روشنة الطلاب ) .

**٣-٦- تنوع السياسات الجامعية وتقليدية أساليب تحقيق الأمن الفكري :**

يمكن أن يجد المرء داخل المنظومة الجامعية نوعا من التوازن المتوتر أحيانا والضاغط أحيانا ، وقليل الاكتراث أحيانا أكثر، بين أطراف المؤسسة ، وبهذا فهو توازن يمثل الصراع بين الجامعة من ناحية وعمليات الضبط والربط حيث تعددت أساليب الحفاظ على الأمن الفكري للطلاب وإن كانت في أغلبها تقليدية كما يلي :

- **رد الفعل إزاء ظهور بعض التيارات الفكرية المنحرفة وتأجيجها للصراع الفكري :**

مع اتفاقية كامب ديفيد حذفت بعض الموضوعات لتحل معها تأكيد مفاهيم السلام والتسامح ومقاومة العنف وحوار الحضارات والحكمة ، وقد انعكس هذا على أوضاع الجامعة وبرامج تطويرها ، وعلى سبيل المثال فقد أعطى الطابع الأيديولوجى ضوءا أحمر تحذيريا للجامعة أساتذة وطلابا ، فعندما يحاول بعض الطلاب تحت بعض القيادات الوهمية والزعامات تجاهل هذا الضوء تقابل السلطات هذه الأحداث بصورة صارمة من خلال الاعتقال والإبعاد ، ثم السعي إلى التشديد على

الولاء وفصل عديد من الأساتذة والطلاب فيما يعرف بحركة التطهير في بعض الدول العربية، وعلى المنوال نفسه لجأ النظام الانفتاحى إلى تدشين الأساتذة والطلاب حيث أبدت بعض السلطات اهتماما بتشجيع الصراع وتصفيته ، واستقطاب تيارات فكرية ضد أخرى ، فازدادت الشقة الفكرية امام الطلاب تحت شعارات : الأصالة والمعاصرة ، والعلم والإيمان ، والعلمانية والأصولية.(٣٩)

- **الرقابة لمجابهة انفجار موجات التطرف داخل الحرم الجامعي :**

مع أواخر التسعينيات والعقد الراهن انفجرت موجات التطرف داخل بعض الجامعات بين الطلاب واشتدت رقابة بعض الدول على الجامعات فأصبح تعيين أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم مرهونا بموافقات أمنية ، كما أصبح للأمن تدخل فى فرز المرشحين لاتحادات الطلاب ، وتدخل فى انتخابات أندية أعضاء هيئة التدريس ، وأخيرا فى التعيين المباشر للعمداء من رئيس الجامعة ، فاقتربت الجامعة فى ممارساتها وخطابها الواقعى من السلطة ، والواقع يشير إلى أن قوانين الجامعة المتعددة لم تختلف كثيرا فى أهدافها الحقيقية ، رغم صياغتها المثالية سواء فى الاقتصاد الموجه أو الاقتصاد الحر ، وانشغالها بجعل المؤسسة الجامعية أداة للضبط والحفاظ على النظام ، وحصر مظاهر المغايرة لدى الطلاب والأساتذة ، وضمان الهدوء والاستقرار فى داخل الحرم الجامعى وخارجه ، وتمخضت رسالتها فى النهاية إلى ما اصطلح على تسميته " النمط المحافظ " ، دون قدرة حقيقية على تجاوز هذا النمط ، وإشاعة الفكر والرأى فى التعليم والدراسة وخدمة المجتمع.

- **تحقيق الانضباط وإلغاء التعيين وفقا للانتماءات الفكرية والسياسية:**

نتيجة لقيام الطلاب والطالبات باحتجاجات ومظاهرات محصورة داخل أسوار الجامعة أو ما يحرره الأساتذة من مقالات ناقدة ، يلاحظ أن الواقع يميل بوضوح فى كفة قوى الضبط والنظام والالتزام بتوجيهات السلطة فى داخل الجامعة ، ففى سياق الليبرالية تباح حرية التعبير والنقد المهذب ، دون حرية الفعل والتأثير والتنظيم لأى إطارات سياسية أو حزبية للتعددية الحزبية المشروعة ، ويتجلى التنظيم والضبط بضرورة التصريح بالموافقة الأمنية على بعض من المتحدثين والدعاة والقيادات السياسية لإلقاء حديث أو حوار مع الطلاب ، ومن ثم ضبط الآراء التى يمكن أن يتفاعل الطلاب من خلالها مع تخصصات أو خبرات أو رؤى فكرية أو خبرات عملية، وكذلك إلغاء التكليف الصادر لبعض المعيدين بسبب اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية والسياسية. (٤٠)

- **غياب وُبعد الجامعة عن الالتحام الفعلي بقضايا وهموم المجتمع :**

على مدار العقود ينشغل المجلس الأعلى للجامعات في أغلب الدول العربية بمسائل كثيرة تتكرر عاما بعد عام ، معظمها ما يزال عالقا وتتخذ بصددها القرارات وترددها القوانين فى خطابها الرسمى وبالتعمق في مقاصدها ومعانيها لا يلاحظ أى تغيير حقيقي سوى فيما تتخذه من سياسات ، تشى بأحكام الإجراءات فى تفاصيل اللائحة التنفيذية ، بل واختفت من القوانين والوثائق والقرارات ما

يؤكد سياسات تكافؤ الفرص أو الحرص على إشاعة أو توسيع فرص الحرية الأكاديمية ، وتكوين المدارس العلمية واستقلال الجامعة ، والتحامها بقضايا المجتمع والحوار حولها، ويمكن القول بأن الجامعة قد تخلت عن دورها فى توفير الحماية الأكاديمية المضبوطة لكل من الأستاذ والطالب فاستحدثت بعض الأساليب الجديدة للتعرف على وفرزت التحيزات الأيديولوجية المختلفة ومحاصرتها فى مهدها لرئب الصدع الفكري الذي قد ينجم لدى الطلاب.

- **ضرورة موافقة سلطات الأمن لعقد الاجتماعات والأنشطة الطلابية :**

لمواجهة الانحراف الفكري مبكرا ، استمرت الجامعات في بعض الدول العربية منذ فترة الانفتاح والليبرالية والاقتصاد الحر بعيدة عن الحياة الثقافية المشبوهة ، فهى لا تقوم بممارسة الأنشطة البعيدة عن مجال الدراسة ، حيث يكون الطلاب ملزمين من أجل عقد اجتماع عام لهم أو تعليق لوحة على الحائط أو دعوة شخص لإلقاء محاضرة أن يحصلوا على موافقة العميد أو اثنين على الأقل من أساتذة الكلية التى ينتسبون إليها إلى جانب موافقة ضباط الحرس المعينين لكلياتهم إن لم يكن موافقة رئيس الأمن العام بالجامعة في بعض الدول(٤١) وكذلك الحال بالنسبة لانتخابات الاتحادات الطلابية فهى مفتوحة للتدخل كليةً من جانب إدارة الجامعة وغيرها بمراجعة أسماء المرشحين ورفض البعض منهم ، بل وتكون هناك شكوك وتقارير رسمية وأمنية حول الطلاب المستبعدين وكونهم من المتعاطفين مع الجماعات المتطرفة أم لا.

## ثانيا: تحقيق الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية بالسياسات الجامعية الصينية

يستطيع الصينيون التأكيد على أن جوهر عمليات التحديث هو التمسك بخصائص المجتمع الصينى والتى تظل محافظة على جوانب كبيرة من **هويتها الثقافية** ، هذا على الرغم من أن عصرنة المجتمع الصينى بشكل اجتماعى يختلف فى طبيعته وتكوينه عن المجتمع التقليدى، إذ يذكر الصينيون الآن " الانتقال " إشارة إلى عملية التغيير الكيفى التى شهدها التكوين الاجتماعى، إنه الانتقال والتغيير والتحول من طبيعة تكوين اجتماعى ما إلى طبيعة تكوين اجتماعى آخر، إذ أن التغيير الكيفى فى تلك العملية الانتقالية يحقق فى النهاية التحول من شكل أصلي لآخر من خلال التغيير التدريجى، فاتخذ المجتمع الصينى شكل المجتمع الحديث ، والذى يعد بمثزلة نموذج للمجتمع الانتقالى يقع بين المجتمع التقليدى والمجتمع الحديث ، هذا النموذج القائم بين المجتمع التقليدى وعصرنة المجتمع ، ومن ثم يوجد نوعان من الخصائص الاجتماعية ونوعان من الخصائص فى هيكل العلاقات الاجتماعية والنظام الاجتماعى والجوانب الأخرى الخاصة بذلك النموذج الاجتماعى.

ولكن بسبب طبيعة انتقال ذلك النموذج الاجتماعى، أظهرت تلك العوامل والخصائص الصفات المميزة للانتقال والتطور، ولم يظهر النموذج الكامل لعناصر المجتمع التقليدى أو عناصر المجتمع الحديث حيث تعرضت أشياء قديمة وتقليدية للهجوم والتحطيم، ولكنها لم تندثر وظهرت بعض الأشياء الجديدة والحديثة التى لم يتم انجازها بعد ، فكل تلك الأشياء قائمة فى بيئة حياة الطلاب الصينيين ، وفى الوقت ذاته تلعب كل منها دورها الوظيفى الذاتى ، ولكن يؤثر كل منها فى الآخر ويتفاعلان معا، ولذا ظهرت عندهم فى الوقت نفسه بعض التغييرات المتنوعة التى لا تنتمى للأشياء التقليدية القديمة أو للأشياء الجديدة الحديثة ، ولذلك يعد المجتمع الصينى الانتقالى نوعا من الهيكل الاجتماعى الثنائى، أو ما يسمى بنموذج المجتمع الانتقالى الذى يتصف بخصائص التركيب الثنائى، الذى يظهر بصورة رئيسية فى جوانب متعددة.

- **التناقضات الثقافية الخمسة الكبرى:**

تمثل ذلك في ثنائية الهيكل الاقتصادى وثنائية هيكل التجمعات السكانية وثنائية التنظيم الاجتماعى وثنائية هيكل السلطة، حيث كان هناك ظهوراً لأبرز **ثنائية هيكلية للمجتمع الصينى الحديث** كـــنموذج للمجتمع الانتقالى، والتى تقع بين المكانة التاريخية للمجتمع التقليدى والمجتمع الحديث، وفى الوقت نفسه تلعب عناصر الماضى والمستقبل دورها الوظيفى، ولذا كان من المؤكد أن يتولد عن تعايش هذين الهيكلين ذوى الطبيعة المختلفة وتشابكهما سلسلة من التضاربات والتناقضات والعلاقات المتوترة بين طلاب الجامعات الصينية ، بل وتسبب ذلك فى تعقيد حياتهم الاجتماعية ، فاندثرت بعض العناصر القديمة وظهرت بعض العناصر الجديدة، حيث تحل عناصر العصرنة للمجتمع الطلابي الصينى محل عناصر المجتمع التقليدى رويداً رويدا، وتدفع بحركة من **التناقضات الاجتماعية** إلى الأمام، كما تدفع بالمجتمع كله فى اتجاه التغيير والتحول إلى التحديث.

وتجســـّد الظواهر الثقافية فى نموذج المجتمع الصينى الانتقالى المقاومة العنيفة للتناقضات من جراء خصائص الهيكل الثنائى ، حيث يلاحظ أن المجتمع الطلابي الصينى الحديث يغصّ بالتناقضات الثقافية، ومن العجيب أن مقاومة تلك التناقضات الثقافية وإزالتها وتحولها يدفع بالثقافة الصينية إلى الأمام ويسعى إلى تطويرها، وفيما يلى سوف يتم عرض التناقضات الرئيسية الثقافية الخمسة الكبرى فى الصين، والتى أثرت بدورها على السياسات الجامعية الصينية وواقع تحقيق الأمن الفكري وتنمية الهوية الثقافية بها بصورة كبيرة:

**تناقض الثقافة وإبداعها:** والذى يدل فى بعض جوانبه على نقد الثقافة التقليدية وتجاوزها، ونبذ الطالح وتأييد الصالح منها، كما يدل على توقف وانهيار التوارث الثقافى إلى حد ما، مما يؤدى معه إلى

ظهور **التعارض الثنائى** بين القوة الخاملة للتقاليد المتراكمة والقوة الحيوية الحالية التى تقاوم التقاليد وتسعى للتطور.

**تناقض بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة:** والذي ينبع من خصائص الثقافة نفسها، وأصبح ملموساً ومحسوساً فى المجتمع الطلابي الصينى كتناقض رئيسى فى الثقافة الصينية الحديثة.

**تناقض بين الثقافة الداخلية والثقافة الخارجية :** يعد معالجة هذا التناقض والتعامل معه وإيجاد الحلول له بمنزلة المشكلة الكبرى التى تواجه الطلاب من البداية حتى النهاية، ولذا يعكس هذا التناقض جوانب الصدام عندهم بين المحافظة على الهوية ومضمونها وقوميتها ، بالإضافة إلى الصدام بين المعرفة العميقة بالثقافة الصينية ومعرفة العالم الغربى.

**تناقض بين التطابق والتنوع الثقافى:** فى الثقافة الصينية التقليدية كان السعى دوماً وراء الوحدة الشعبية يمثل الهدف الأعظم، وخاصة فى ظل تأكيد مؤازرة السلطة الشرعية، والتقاليد الكونفوشية، والتوصل إلى التفهم المشترك والإرادة المتوحدة، ولكن من ناحية أخرى جسّد البحث عن التنوع والثراء حماسة الطلاب، وظهر التناقض بين تطابق الثقافة وتنوعها بجلاء فى التحول إلى التحديث.([٤٢])

**تناقض بين اتجاه القيم الثقافية واتجاه الممارسة العملية:** تتسرب داخل عناصر الثقافة التقليدية، أو يستغلان الفهم السيئ لهيكل الثقافة التقليدية واتجاه تعديل تلك الثقافة، ، ونجم عنهما الشكل الحديث والمضمون التقليدى، فالصدام بين تناقض اتجاه معارضة التقاليد لدى الطلاب واتجاه حماية التقاليد الكامن فى شعورهم يُعزّز من إمكانية التباعد بين اتجاه القيم التقليدية واتجاه الممارسة.

ومن هنا فقد أحرز الصينيون فى عملية التقدم نحو التحديث والعصرنة قدراً من الانجازات الهائلة فى بعض المجالات، وربما تم دفع الثمن غاليا ومؤلما فى بعض المجالات الأخرى، فعلى سبيل المثال ظهرت بعض المشكلات ، فعلى سبيل المثال يعد الفقدان الثقافى والفوضى الاجتماعية والأزمات النفسية وغيرها من المشاكل الاجتماعية التى تتعلق أولا بالهوية الثقافية للطلاب الصينيين، وغيرها من المشاكل التى ظهرت فى مسيرة التحديث بمنزلة الصعوبات الضخمة التى تواجهها الآن الجامعات الصينية ، فتطلب الأمر بذل الجهود المضنية للتغلب على العناصر السلبية وغير الفعالة الناجمة عن عمليات التحديث نفسها، ولقد شكل ذلك كله خلفية للحياة الجامعية الصينية فأصبحت فى غاية التعقيد، يعيش فيها الطلاب الصينيين بين عصر الانتقال ونموذج الانتقال الثقافى فانعكس عليهم ، وفيما يلي عرض للسياسات والممارسات التعليمية فى الجامعات الصينية:

### ١ - الإصلاح الجامعى الشامل:

إن الدور المنوط بالتعليم الصيني كان ومازال موجهاً إلى تحول المجتمع وعصرنته، ولقد اعترف بذلك الدور الرئيسى للتربية والتعليم أولئك الذين سعوا فى إصلاح المجتمع الصينى ، فأدرجوا خططاً

للتغيير التعليمى على أساس أنه جزء من الأسس التى ترتكز عليها استراتيجيتهم للإصلاح، ولقد أخذ فى الاعتبار بعض الدوافع والتحديات من أجل سياسات تعليمية متجددة، ولذا قضت الدولة الصينية سنوات لإعادة تعديل وإصلاح وتقويم النظام التعليمى ككل، وشهدت قضية تطوير التعليم العالى فى الصين سلسلة من التجديدات جعلت حركة الإصلاح الجامعى فى تقدم مطرد ومنظم، فأصبحت تحتل حركة الإصلاح فى النظام التعليمى والاقتصادى الأولوية فى جدول أعمال الدولة على كل المستويات.

- **التعليم العالى والجامعى الشامل:**

انتهجت الصين فى التوسع فى التعليم العالى سياسة ونموذج التطور المرحلى حيث ينقسم تطوير التعليم العالى إلى ثلاث مراحل: الأولى: هى التعليم العالى للصفوة، حيث كان معدل إجمالى الأسماء المسجلة للطلاب أقل من ١٥%، والثانية: هى التعليم العالى للعامة، بحيث يتراوح معدل إجمالى الأسماء المسجلة ما بين ( ١٥% و ٥٠% )، والثالثة: هى التعليم العالى الشامل، بحيث يكون إجمالى معدل الأسماء المسجلة أكثر من ٥٠% ، فلقد تمثل الهدف التربوى منذ عهد مـــــاو فى تكوين مجتمع لا طبقية فيه يتم بموجبه توجيه أعضائه نحو المنفعة الجماعية العامة.([٤٣])

- **تخفيف قبضة الدولة والإشراف على المؤسسات الجامعية من بعد :**

كان التعليم العالى يدار بواسطة الحكومة وفى عزلة عن التنمية الاقتصادية التى يتجه إليها المجتمع، ولذا جاءت كل انجازات البحث العلمى بالمؤسسات العلمية غير مطابقة لاحتياجات المجتمع الصينى، وهو الأمر الذى جعل من المستحيل أن تتحول الإنجازات العلمية إلى منتج يقبل عليه المستهلك الصيني وغيره، ولذا رأت اللجنة التعليمية أن أفضل حل لهذه الأزمة هو أن تخفف الدولة من قبضتها على الجامعات وأن تشرف على مؤسساتها من بعد، تاركة للجامعات حق الإدارة الذاتية، وأن تسعى المؤسسات للحصول على الدعم المادى المطلوب من المجتمع نفسه، وبذلك أصبح على الجامعات الصينية أن تتخذ القرارات الملائمة لظروفها وبما يحقق لها فى النهاية أهدافها.

- **اندماج المؤسسات الجامعية مع الشركات والإدارة الذاتية :**

رأت بعض المؤسسات الجامعية أن أفضل طريقة لإحداث الإصلاح والتطوير المطلوب هو التوسع فى خدماتها لتخدم أكثر من مجال، وبذلك ستنعم هذه المؤسسات بالدعم المادى من الحكومة المركزية والمحلية معا ، وتصبح مؤسسات تعليمية ذات **إدارة مشتركة** تلعب دورا إيجابيا فى دعم الاقتصاد والتنمية المحلية، وانتهجت مؤسسات أخرى سبيلا آخر هو **الاندماج مع الشركات** والتنظيمات الاجتماعية، لسد الفجوة بين التنمية الاقتصادية والمجتمع، وبذلك أوجدت لنفسها دعما ماليا من مصدر جديد بالإضافة إلى ما تتلقاه من دعم مالى من الحكومة المركزية.

- **تحسين الوضع التربوى للأقليات والمناطق النائية والمقاطعات الجبلية:**

الصين دولة ذات جنسيات متعددة وكثيرة، وغالبية السكان فيها من شعب (الهان)، حيث يوجد بالصين (٥٥) أقلية وطنية فى البلاد، وإن عدد سكان الأقليات حسب احصائيات العام ٢٠٠١م كان (١٦٧,٢٤) مليون نسمة، أى بنسبة تصل إلى (٦,٧ %) من مجموع تعداد السكان العام، وغالبية هذه الأقليات تقطن فى مناطق نائية على الحدود، وكانت تعانى دوما من نقص فى الخدمات ومن التخلف الاقتصادى والاجتماعى والتربوى، ثم نشطت الحكومة أخيرا فى الاهتمام بتعليم هذه الأقليات، فأنشأت الدولة لهم العديد من الجامعات وأسست بها الحكومة مكاتب مباشرة مسؤولة عن تعليمها، وخصصت أموالا إضافية لتطوير التعليم الجامعى فى مناطق الأقليات والمناطق النائية والمقاطعات الجبلية والأحياء الفقيرة، ففتحت المعاهد والكليات التى تكمن وظيفتها فى إعطاء الطلاب مقدرات مالية وإدارية لتدريب الكوادر أثناء الخدمة وتهيئتهم للتعليم الجامعي، بل سمحت لطلبة الأقليات بالالتحاق بمعدلات أقل من باقى الطلاب وأعطتهم أولوية فى القبول بالمقارنة بباقى الطلاب الصينيين.(٤٤)

**٢ - الإصلاحات الجامعية الجديدة لمواكبة التغيرات التنموية:**

أصبحت الجامعات الصينية ركيزة أساسية فى تشكيل خطط التنمية المجتمعية وتطوير خياراتها التنموية والاستراتيجية، ولذا شرعت المؤسسات الجامعية الصينية فى إجراء إصلاحات لاعتلاء مكانتها فى قيادة توجهات السياسات العامة للتنمية الشاملة فى المجتمع الصينى، وأصبح على سياسات الجامعات الصينية أن تعبر بقوة عن كل من الاختيارات التنموية وعن اتجاهات التغيير المستقبلية فى مجتمع الانتقال الصينى، وتتعدد صور الإصلاحات كما يلى:

- **الإصلاح المتوازن بين التيار الأكاديمى والتيار الأيديولوجى:**

اتجهت السياسات التعليمية فى الجامعات الصينية نحو تحقيق الإصلاح المتوازن بين كل من التيار الأكاديمى والتيار الأيديولوجى، فى كل من **العمل والدراسة**، والتى تميل إلى تحقيق المعنى **والوجود الثقافى**، ومن ثم كان التخطيط لنشر وتوسيع عدد الكليات والمؤسسات الجامعية وكذلك الحال بالنسبة للدراسات العليا، ولقد كان هذا التغير راجعاً إلى إتاحة المزيد من الفرص والاختيارات أمام طلاب المدارس الثانوية، ولإكمال تحقيق هذه الأغراض والخطط التربوية ودمجها من جانب آخر مع أغراض وأهداف السياسات الاقتصادية، حيث تم تصميم عدد من التغيرات الاقتصادية الساعية للنمو المتزايد فى المنتجات القومية وتشجيع الجديد من المنتجات الصينية.(٤٥)

- **التدريب الجامعي والتجاوب مع آليات السوق:**

صدر تعميم مكتب العمل والتوظيف الإقليمى ومكتب التعليم بإلزام الشركات والمؤسسات بإجراء التدريبات اللازمة للعاملين قبل تعيينهم، عملا **بمبدأ التدريب أولا ثم التوظيف ثانياً**، وبخاصة فى المجالات التى تتطلب المهارات الفنية. أى أن آلية السوق كانت وسيلة لحشد حماس المؤسسات للتوسع إلى أقصى حد، إذ يمكن أن تشجع المؤسسات ولكن لا تواجهها أو تفرض عليها على أن تسجل المزيد من الطلبة وتشبع المطالب الأخرى للمجتمع، علاوة على ذلك فإن آلية السوق توجد التنافس بين المؤسسات بل وفى داخلها، ومثل هذا التنافس مفيد لتحسين الكفاءة والنوعية ومحاسبة المؤسسات ومساءلتها.

- **مدخل جديد للإدارة الجامعية للاهتمام بالتعليم والتثقيف معا :**

لقد ظهرت الحاجة إلى إنشاء نظام جديد لإدارة التعليم بؤرته ومدخله الأساسى هما ضمان مشاركة كل شعوب وأقاليم البلاد، فعملية صنع القرار لم تعد مركزية إذ توزعت على البلديات والمستويات المحلية، وهكذا تتوفر الفرص للاستفادة من القدرات والطاقات الكامنة والإمكانات التى يتمتع بها المجتمع غير المتجانس، وتوجيه المعرفة وتعبئة القيم والمهارات والثقافات التى يتميز بها كل إقليم أو مجتمع محلى ، ولتحقيق هذه الأهداف كان من الضرورى إصلاح **الإدارات الجامعية** حتى تخدم قضية التعليم والتثقيف وليس العكس ، فالاستخدام الفعال للموارد والامكانيات يستدعى تنظيم المناهج والأنشطة الجامعية حتى تتواءم مع الاحتياجات الحقيقية للبلاد.(٤٦)

- **توسيع صلاحية اتخاذ القرار فى مجال إدارة الأقسام والكليات:**

هدف هذا الإجراء إلى زيادة حماس الطلاب وأعضاء الهيئة الإدارية والتدريسية من أجل تمكين مؤسسات التعليم العالى من خدمة التحديث الاجتماعى للأقاليم، ومن أجل الاضطلاع بخطط الدولة أصبح يحق للجامعات والكليات استقطاب الطلاب من خارج الخطة المعتمدة فى التسجيل فى المقاطعة، وإجراء بعض الترتيبات التى تجمع بين **التدريس والبحث العلمى والإنتاج** فى **عملية واحدة**، ولتعيين أو إعفاء نواب الرئيس على مستوى الجامعة أو المسئولين الآخرين فى المستويات الأدنى، إضافة إلى عمل خطط تفصيلية حول أى استثمارات رأسمالية أو أى نفقات تشغيل يتم تخصيصها لهم من قبل الدولة، فقد تعطى الدولة بعض المؤسسات الفردية سلطات أوسع لصناعة القرار فى ضوء شروط محددة ، مع دمج الجامعات ذات الأداء الضعيف مع غيرها أو ربما تغلق أبوابها، كما هو الحال بدول العالم المتقدم.(٤٧)

ولكن فى الوقت نفسه وبالرغم من كل هذه التجديدات والإصلاحات لم تكن مؤسسات التعليم العالى والجامعى بمأمن من التحولات والمستجدات العالمية بفرصها ومخاطرها، ولا سيما تلك التحديات والمستجدات الثقافية العصرية التى فرضت نفسها على المؤسسات بالتعليم الجامعى الصينى،

وقوّضت العديد مما نعلمه عن المفاهيم والعمليات التقليدية فى المجتمع الصينى من قبل، لتصبح معتمدة بصورة أكثر على أسس وقواعد المعرفة والتكنولوجيا المتقدمة(٤٨) ولكنها فى الوقت ذاته واجهت بعض المعوقات الاجتماعية والثقافية التى صادفت تحقيق هذه السياسات والإصلاحات الجديدة، حيث أدت إلى أن أصبحت الهوية الثقافية فى المجتمع الطلابى الصينى تعانى من أزمات راهنة.

### ٣ - واقع الهوية الثقافية عند طلاب الجامعات الصينية:

يعكس التعليم الجامعى فى المقام الأول تاريخا طويلا جدا من الأفكار والقيم الكونفوشية التى تكن احتراما ضارب الجذور وتشددا ثقافيا نحو ضرورة تكيف المرء لنفسه وأعماله وفقا للجماعة داخل بنية اجتماعية هرمية تجعله جزءا لا يتجزأ منها، إذ يتوقع من الطلاب الصينيين الخضوع للسلطة والإسهام فى نظام اجتماعى متسق دون السعى وراء أهواء شخصية فردية أنانية، حيث تركز الكونفوشية على الطاعة والولاء وتقوم بتقديس مصلحة الجماعة، وتحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، ولذا كان التركيز فى هذه العلاقات وغيرها على الواجبات والمسئوليات أكثر مما هو على حقوق الأفراد، فمن أهم القيم الولاء للوطن وإطاعة السلطة واحترام النظام الاجتماعى(٤٩) ويشير واقع الحال فى المجتمعات الطلابية بالجامعات الصينية إلى أنه توجد عدة مؤشرات تشير إلى مدى المعاناة التى يواجهها الطلاب فى صراع الأمن الفكري ومحاولات الحفاظ على هويتهم الثقافية من بينها:

- **انتهاج وممارسة الطلاب للثقافة الدينية التقليدية:**

إن الأفكار والمضامين الكامنة خلف التربية العائلية ترجع فى أصولها إلى الالتزام الصارم بسمات التربية التقليدية الصينية وتأكيدها على التثقيف الخُلقيِ والاستقامة والأدب والتواضع والأمانة والولاء والجد والمثابرة، والاجتهاد والإصرار والتعاون، وعدم التواكل على مكانة وممتلكات الأسلاف، بل إن عليهم أن يعملوا من أجل مستقبلهم الخاص بهم(٥٠) وفقا لعناصر الفلسفة الاجتماعية الكونفوشية(٥١) وكى يستطيع الإنسان تنظيم مجتمعه لتتحقق له الظروف الملائمة لتنفيذ مهمته لابد وأن تتم تربيته ونشأته على مبادئ أخلاقية يستطيع بها تقويم نفسه والسيطرة عليها(٥٢) والالتزام بالحكام في إطار أخلاقى والطاعة لهم ، والالتزام الأسرى وتجنب الصراع والتأكيد على ثقافة الاتفاق، وسعى كل فرد لاكتشاف دوره والولاء والانتماء للجماعة والنظام وإمكانية تحقيق الفردوس الأرضى(٥٣) فانعكست هذه المبادئ على البرامج والأنشطة التعليمية والثقافية فى الجامعات الصينية(٥٤) فحافظت فى جوانب كثيرة على العديد منها فى وجه تيار العولمة الثقافية الجارف ، شكلت معه نموذجا ومثالا يحتذى فى الجامعات بالمناطق النائية فى الصين.(٥٥)

- **العلاقات الطلابية اللانظامية ونماذج السلوك المضطربة:**

إن المعلومات المقررة فى الجامعات عن القوانين والأنظمة تهدف بالأساس إلى تمكين الطلاب من فهم القوانين والأنظمة وتطبيقها، وعدم الخروج على الأنظمة والقوانين المرعية وارتكاب الجرائم، حيث يدرس الطالب الصينى القوانين والبنود الأساسية بالدستور الصينى والنتائج السلبية والظواهر المختلفة لعدم امتثال القانون وارتكاب الجرائم والعقوبات القانونية ، وبالرغم من هذا نجد أنه فى نموذج انتقال التكوين الثقافى الصينى وبسبب هيكله واختلاف طبيعته وعدم توازنه أنه لا يمكن إدماجه فى الهيكل الموحد تكون العلاقات الطلابية مضطربة وتعانى الوظائف أحيانا من عدم التوازن والأكثر من هذا أن آلية التعديل الثقافى الاجتماعى غير كاملة، فيتم تطبيق معيار القيم المزدوجة ونماذج السلوك المزدوجة وتظهر حالة الفوضى فى الثقافة التى تنعكس بدورها فى الواقع العملى لسلوكيات ومستوى ثقافة المجتمع الطلابى والحفاظ على هويته الثقافية عبر ما يقدم من برامج وأنشطة جامعية والتى يتراجع دورها يوما بعد يوم .

- **الزخرفة والشكلية واختلال منظومة القيم الثقافية لدى بعض الطلاب:**

نتيجة للطبيعة الثنائية للثقافة الصينية الحديثة يفتقر بعض الطلاب إلى مشاعر المشاركة القوية على نطاق واسع، حيث يعتبر حق الانتخاب واجبا و لا ينظر إليه باعتباره حقا مقدسا ليعبر المواطنون عن آرائهم، ففى مجال المعرفة والشهادات الجامعية يبحث الصينيين عادة عن نوعية ومكانة المؤهل الدارسى للفرد والشهادات والألقاب الرسمية والشهرة التى يتمتع بها، ولا يهتمون فى أحيان كثيرة بالمعرفة الأصلية والكفاءة العالية، ويسعون وراء الزخرفة الشكلية(٥٦) ولذلك لا تهتم أحيانا جوائز المسابقات العلمية والثقافية الكبرى فى بعض الجامعات الصينية وحفلات التدشين والمؤتمرات الإعلامية والإذاعية للطلاب، وغيرها من الممارسات العامة بالقيم والمعانى الثقافية العميقة التى تشير إلى العديد من الأمراض الثقافية المنتشرة في المجتمع الطلابي.

- **نمو لغة وثقافة سلوكية جديدة بين الطلاب الصينيين:**

تطورت العديد من المصطلحات التقليدية التى كان يستخدمها الطلاب ، حيث أصبحت بعض من هذه الكلمات تستعمل بمعنى جديد أو باختلاف طفيف، وهناك كلمات أدخلت على عالم التعليم الجامعى فحدث تغيرا فى معنى وكلمة الحرم الجامعى نفسها، وهذا كله يشير إلى أن هناك نوعاً ما من التغيير **والتأثر الثقافى** نتيجة للتطوير والتجديد فى عالم التعليم الجامعى متأثرا بما فى غيره من الأنظمة التعليمية فى دول العالم المتقدم، ومن ناحية أخرى بسبب المستجدات الثقافية على المجتمع الصينى، خاصة وقد أصبح التعليم عن بعد والتعليم بالمراسلة وتعليم الكبار يشير إلى الكفاية والتقييم، وظهرت من جانب آخر مصطلحات مثل البرنامج التعليمى المتكامل وهو ما يعرف بالتعليم مدى الحياة، وغيرها من البرامج الغير تقليدية(٥٧) ولرفع مستوى الثقافة والمهارات والتدريب على اللغات الأجنبية

فإن القنوات الفضائية يتم استخدامها لبث مقررات دراسية تحديثية مع الاختبارات فى علوم اللغات والبحوث المتعلقة بأعضاء هيئة التدريس والمحاضرات عن المعلومات والمعارف الجديدة.

- **اهتمام البعض بالشهادة الجامعية على حساب بناء الشخصية:**

أصبح معيار الشهادات والسجلات الدراسية هو الذى يتم على أساسه اختيار الخريجين للعمل والتوظيف وهو القاعدة الأساسية، حتى أثـــّـــرت هذه المؤهلات على آراء وأفعال الآباء والطلاب وأعضاء هيئة التدريس فى الجامعة على وجه الخصوص، حيث يتوقع الآباء من التعليم العالى والجامعى أكثر مما يتوقعونه من بناء الشخصية ، وهذا بالطبع له أثره الكبير على الهوية الثقافية ، فالتمتع بتعليم عال والدراسة فى الخارج من أبرز الأهداف خاصة وأن ٩٠ % من العائلات الصينية تريد إدخال أبنائها فى التعليم العالى والجامعات، وأن ١٩ % منها تريد أن ينال أبناؤها درجات الدكتوراه فى الفلسفة، ولذا نلمح أن الجيل الصينى الجديد نشأ فى وضع متسم بالصراع بين خيارات عقلانية ولا عقلانية، وبين قرارات وأفعال متناقضة ومؤلمة، فالتركيز شديد على تحقيق الأهداف النفعية، وتجاهل التربية الخلقية على الرغم من أن القيم الخلقية لا تزال راسخة صامدة فالغالبية من الآباء لا يعارضون التعاليم الأخلاقية التقليدية فى الوقت الذى يسعون فيه إلى التعليم وفقا لأهداف نفعية محددة.

- **تناقض الملامح الرئيسية لنموذج الانتقال الثقافى الصينى:**

إن عناصر الثقافة التقليدية ولا سيما مفاهيم القيم التقليدية والأحوال النفسية الثقافية وأسلوب التفكير وغيرها من العناصر فى الهيكل الفكرى للطلاب الصينيين وإدراكهم شكلت إعاقة لمسيرة التحديث الصينى ، حيث تظهر عناصر الثقافة التقليدية مقاومة تلك الثقافة وصدامها العنيف مع مسيرة التحديث، وتتغلغل مفاهيم ومعانى قيم الثقافة الحديثة تدريجيا داخل حياة الطلاب اليومية، في المعانى والمفاهيم التى فهمها الطلاب وتقبلوها فمازالت تظهر مقاومة ذلك التناقض الثقافى وتضاربه فى الحياة الجامعية الصينية فى صورة عنيفة جدا، ومن ثم تشكلت بعض ملامح هيكل الثقافة الطلابية في الصين الحديثة والتى كان لها أثرها فى المظاهر والممارسات ولقد لوحظ الآتي :

- **تجسيد الطبيعة المختلفة للظاهرة الثقافية بصورة جلية:** فالنظام الثقافى الاجتماعى عند الطلاب فقد الانسجام الموحد السابق، وأظهر حالة تداخل بين الأشياء واختلاطها، مما جعل لديهم نوعان أو أكثر من نماذج السلوك ومقاييس القيم، مما يجعلهم يشعرون بالحيرة وعدم معرفة أى طريق يسلكون ويفتقرون إلى مشاعر التأييد نتيجة الفوضى وفقدان توازن الوظيفة الثقافية وأحدث خللا فى الهوية الثقافية والصراع الكامن فى نفوس نسبة منهم.
- **ظهور طبيعة الهيكل الثنائى للثقافة الصينية الحديثة فى شكلها:** طلاب الجامعات الصينية يسعون على نطاق واسع وراء الأشياء الظاهرية والسطحية، أما المغزى الداخلى والعميق فلم يعد يعترف

به المجتمع الطلابى ولا يبحث عنه، بل يفتقر الطلاب فى حالات كثيرة إلى المفاهيم المشتركة بسبب الطبيعة المختلفة للثقافة الاجتماعية.

- **التطابق الجزئى للوظيفة الثقافية:** بمعنى تعايش الخصائص المميزة الثقافية الجديدة والقديمة فى الظاهرة الثقافية الواحدة.
- **عدم توازن تطور الثقافة:** يظهر عدم التوازن فى العديد من الجوانب، **أولا :** فى الأدوات الثقافية والنظام الثقافى والفكر الثقافى عند الطلاب، **ثانيا:** عدم التوازن بين المناطق الثقافية المتباينة، **ثالثا:** عدم التوازن الثقافى الناجم عن الفئات الاجتماعية للطلاب، **رابعا:** عدم التوازن بين التطور الثقافى والتطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى وغيرها، ولذا برزت ظاهرة التفاوت فى الأحوال الثقافية والاقتصادية عند شريحة كبيرة جدا من الطلاب.(٥٨)

**٤ - أساليب التغلب على التحديات التى تنزع إلى محو الهوية الثقافية:**

دعت الأمور أحيانا إلى تطبيق سياسات واسعة ومزدوجة تمثلت فى إجراء التعديلات على بنية التعليم الجامعى والعالى بالقيام بالإصلاحات التالية:

- **إزالة التفاوت وعدم نبذ التنوع الثقافي والتنوع الفردى:**

فهمت الديمقراطية على أنها ضمان إتاحة الفرصة للتعليم و لم يكن هناك إلا القليل من الحديث عن الاستمرار وحديث أقل عن التكملة ودخول سوق العمل، وقد ساد هذا النموذج الأخير للتعليم الجامعى الصادر عن السلطة الصينية لأن الهدف كان هو تحقيق التماثل والتشاكل بتخفيف حدة الاختلافات كى يتساوى كل فرد مع الآخر، فالاختلاف يعتبر عنصرا هداما ومصدرا للتفاوت الاجتماعى، ولذا كان دائما ينظر إلى التعليم التقليدى والقيم التى يجرى نقلها على أنهما الطريق إلى التكامل الاجتماعى، فالتركيز كله كان على المحتوى أما الأساليب والمنهجية فى المحاضرات والفصول الدراسية والحلقات النقاشية، فلم يكن أحد يوليها أى اهتمام أو تفكير، ولذلك كان أى تغيير يتم فى المحتوى أو المضمون يعتبر ضارا بالمصالح وأحيانا بالأيديولوجية الحاكمة، وتعتبر الاختلافات الفردية تغييرا سياسيا وتنظيريا كبيرا، وهذا يعنى الإقرار بأن العمليات المتجانسة شكليا يمكن أن تفرز نتائج متضاربة.

- **صرامة المنهاج الثقافى الجامعى وغرس أنماط السلوك والقيم :**

للصين منهاج دراسى تتحمل اللجنة الوطنية للتربية الصينية المسئولية الكاملة تجاه النتائج المترتبة على تطبيقه، وهذه المركزية تفسر لماذا يبلغ الإنجاز الأكاديمى أو اتقان مهارات المنهج الدراسى مستوى رفيعا فى الجامعات الصينية فالمقررات والأنشطة لا تقدم المحتوى الأكاديمى المحدد بدقة وصرامة فقط، بل إنها تقدم التفصيلات الدقيقة التى تغطى التعليم والمهارات التى يتطلبها عالم العمل والانتاج،

وهناك إجماع واسع القاعدة فى المجتمع الجامعى الصينى ذى الطبيعة المتجانسة حول عناصر القيم والثقافة المشتركة للمجتمع، انعكس بدوره على محتوى المنهاج والمقررات كي تدور حول قوى رئيسية أهمها **غرس أنماط السلوك والقيم** والأفكار المتفق عليها اجتماعيا فى الجيل القادم، وذلك للحفاظ على **الهوية الثقافية الصينية** فى مواجهة تيار العولمة الثقافية الجارف والانحراف الفكري.(٥٩)

- **تحجيم سلوكيات طلاب وطالبات الجامعة :**

تشترط الكليات والمعاهد الجامعية ارتداء زيٍ موحدٍ، بل وبشيء من التفصيل تحدد الأسلوب الذى يجب أن يلبس به وتنفذ ذلك عمليا، بل أحيانا ما تمنع الطالبات من استعمال أى نوع من مستحضرات التجميل، بل إن قَصّةْ شَعْرِهِنّ تفصل تفصيلا دقيقا كما هى مفصلة للأولاد تماما، ومن جانب آخر لا يحق للمرء فى الصين امتلاك سيارة قبل بلوغه سن الثامنة عشرة، وتشجع فى الوقت نفسه مشروعية امتلاك دراجة نارية عند بلوغ سن السادسة عشرة ، وأحيانا تمتد سلطة الجامعة إلى خارج أسوارها فى خارج ساعات اليوم الدراسى، والغريب فى الأمر هو أن يمتثل لها الطلاب الصينيين طوعا فليس بالأمر النادر أن نجد كلية أو معهداً صينياً يمنع طلابه من دخول المقاهى وصالات التسلية ذات الأنشطة المشبوهة من خلال النشرات والتعليمات فالوقت بعد الدوام الرسمى للجامعة مستغل فى العمل فى الحقول أو المصانع والشركات أو فى غيرها من دور العمل التى حققت بالفعل عبر هذه الأعمال الصغيرة قدرا كبيرا من النهضة والنمو الاقتصادى المتنامى.

- **إصلاح نظام المنح والمساعدات الطلابية:**

وضعت الدولة نظاما للمنح يهدف إلى مساعدة طلبة الجامعات وخاصة أبناء المناطق الفقيرة لحل مشكلاتهم، والأخذ بيدهم لاستكمال دراساتهم ، ونتيجة للتطورات الكبيرة التى تمت فى مجالات التربية والاقتصاد لم تعد قادرة على مسايرة الأوضاع الجديدة التى رسمتها حيث كان هذا النظام يمثل هدراً للأموال، لاسيما وأن المنح والمساعدات كانت تقدم بناء على الأحوال المادية لعائلة الطالب، بغض النظر عن إنجازاته، ولذا قامت اللجنة الوطنية للتربية ووزارة المالية بإصلاح نظام المنح والمساعدات : بمنح المتميزين من الطلاب فى الفكر والخُـــلق، ومنح طلاب التخصصات الزراعية والغابات والبدنية والوطنية والبحرية والتكنولوجيا ومعاهد إعداد المعلمين تميزاً خاصاً، ومنح الطلاب الذين يقبلون على العمل بعد تخرجهم بالمناطق النائية أو المتأخرة اقتصاديا.

- **ابتكار مشروعات مساعدة لتحقيق التواصل بين الأجيال :**

يبدو أن فرض رسوم على الطالب الجامعى فى الصين أمر حتمى فى نظام التعليم العالى للعامة، ولذا قامت حكومة الصين بتخفيف خطورة التفاوت الاجتماعي بابتكار مشروعات مساعدة لطلاب الجامعة مثل: **المنح الدراسية المجانية، والقروض الجامعية، والمعاشات والوظائف لبعض الوقت**، ومع

ذلك فقد أظهرت الدراسات والبحوث أن مستوى العون والمساعدة منخفض بل ضئيل جدا، ولذا كان التوجه نحو التوسع فى مشروعات أهلية لمساعدة الطلاب ، حيث ندرك مدى عظمة وأصالة وثبات القيم الخلقية السائدة فى المجتمع الصينى ومدى تأثيرها على التواصل بين الأجيال وبعضها.

- **تطوير برامج التوعية والإرشاد لبعض الفئات الطلابية:**

قدمت المؤسسات الجامعية عددا من البرامج لفئات خاصة من الطلاب تساعد فى الحفاظ على الهوية الثقافية بينهم ، مثلا جامعة شانغهاى بذلت عدة محاولات لتقديم برامج إرشادية للطلاب غير المتفرغين من الذين يدرسون من خارج الحرم الجامعى، حيث تقوم بإرسال مرشدٍ أكاديمي لهؤلاء الطلاب فى أماكن تعلمهم وتدريبهم خارج حرم الجامعة كما تنظم اجتماعات وبرامج تثقيفية ليلية يدعى إليها أولئك الطلبة لمناقشتهم والحوار معهم. وكذلك برنامج خدمة المهندسين في **جامعة بكين** إذ يتم الاتصال بهم عبر شبكة الإنترنت والأقمار الصناعية التى تبث أحيانا البرامج التثقيفية والتعليمية فى وقت مبكر من الصباح أو فى ساعة الغذاء أو فى وقت متأخر من المساء ، وكذلك الحال بجامعة نانجنج وجامعة جوانج زهـــو ومعهد **فيدين** فى تقديم مقررات وبرامج تنشيطية تدور حول الهوية الثقافية تتمشى مع هدف الجامعة ورسالتها فى خدمة المجتمع المحلى ، وتتضمن العديد من الموضوعات المتعلقة بالسياسات الخارجية والأحداث العالمية الجارية.(٦٠)

- **انتهاج التعليم متداخل الثقافات واللغات وتغير دور عضو هيئة التدريس :**

اتجهت سياسات إصلاح التعليم الجامعى نحو تقديم المنهاج الجامعى المرن، واحترام التناغم الفردى للتعلم لكل الطلاب، والتعليم **المتداخل الثقافات واللغات**، وقد صاحب إصلاح المقررات والبرامج فى الجامعة والأنشطة الطلابية دور جديدٌ لعضو هيئة التدريس ، الذى أصبح رفيق سفر للطالب الجامعى والمنسق والميسر لأنشطة التعليم والتعلم والتثقيف بدلا من كونه مستودعا للمعرفة ووعاء للحكمة ، مما استدعى أساليب جديدة تشجع كل منهم على التفكير وتجديد طرق أداء المحاضرات والحلقات النقاشية، وكان هذا امتداد وتواؤم مع السياسات الجامعية المصممة لتشجيع استخدام أفضل العلماء الصينيين والمهندسين، وتوظيفهم تبعا للعوامل السياسية والثقافية التى تساعد فى النمو المهنى المرتبط بها ، وتشجيع الأساتذة بعد الوفاء بالتزاماتهم الأكاديمية فى مؤسساتهم الأصلية للمشاركة فى أعمال الجامعات الثقافية والوطنية، لتدريب كوادر طلابية قيادية.(٦١)

- **تطوير أشكال التكامل و العلاقات الأفقية بين الجامعات ومواقع العمل :**

إن مجموعة كبيرة من صفوة المثقفين فى الصين يتمركزون فى مؤسسات التعليم العالى، ففى الوقت الذى تبذل فيه جهود عظيمة فى مجال تحسين نوعية التعليم والثقافة فإن مؤسسات التعليم الجامعى أخذت على عاتقها تنفيذ سياسة ربط البحث العلمى باحتياجات البناء الاقتصادى من خلال تطوير

علاقات أفقية وتهيئة أنواع مختلفة من أشكال التكامل والاندماج بين مؤسسات التدريس والبحث وشركات الإنتاج، ويعتبر هذا اتجاها هاما فى التعليم الجامعى بالصين ساعد فى جنى ثمار الفائدة القصوى وتجاوز النكسات الناتجة عن ممارسات الدوائر التى تسير الجامعات وأنظمتها الإدارية وتحقق أكثر للكفاءة الشاملة، ففى هذا الشأن تقع المشاريع ضمن ثلاث مجالات هى البحث والتطوير والانتاج، والنهج الأخير الذى سلكته بعض الجامعات هو الاندماج مع جامعة أخرى بهدف الاستفادة المشتركة من امكاناتهما العلمية والمالية ولتخفيض حجم تكاليف العملية التعليمية، فهما تشاركان بعضهما فى الاستفادة من المعامل والمدرسين والمكتبات الخاصة بها وتدريب الخريجين والمدرسين.

- **تطوير دور المكاتب الدولية للعلاقات الثقافية والتعليمية :**

بدت الصين عبر سنوات طويلة فى صورة بلد يمارس دوره العالمى بقدر كبير من الوعى والمسئولية، فلا يمكن للصين أن تطور نفسها وتعيش بمعزل عن بقية أنحاء العالم(٦٢) وهذه الأقوال ليست مجرد ردة فعل عاطفية بل إنها دلالة على وجود تحول مهم فى حملة تتسم بالإصرار على الترويج لسياسة خارجية جديدة تؤكد فيها ذاتها ووجودها الفعال على المستوى الإقليمى والدولي(٦٣) ولقد انعكس هذا كله على البرامج والسياسات التعليمية الجامعية وبخاصة فى مجالات التبادل الطلابى والأنشطة والرحلات الدولية والابتعاث الخارجى ، وتم تشجيع كل إقليم على وضع استراتيجية الانفتاح الخاصة به، ونتيجة لذلك بدأت الكثير من الأقاليم الحدودية تبادل التجارة والتعاون الثقافى مع الدول المجاورة ، مثل التبادل التجارى الذى صاحبه التبادل التعليمى والطلابى بين إقليم هايلونج جيانج وروسيا، وبين يونان وبورما، وبين جوانج سى وفيتنام، وبين فوجيان وتايوان، فى حين فضلت **مقاطعة ننجسيا المسلمة** أن توثق روابطها مع الشرق الأوسط فأقامت علاقات مع دول مثل مصر والمملكة العربية السعودية وغيرها.

- **نظام جديد للابتعاث وبرامج التبادل الخارجي عبر البحار:**

نتيجة لسياسة الانفتاح على العالم الخارجى نشطت برامج التبادل الثقافى، وتم تطوير برامج التبادل التربوى أو أية عمليات للتبادل الأكاديمى على المستوى الدولى، والمشاركة بدراسات عن تحديث الصين واستغلال الموارد البشرية، ودراسة مشاركات الطلاب الصينيين مع عوائلهم والمجتمع فى المؤسسات الإدارية، وكيفية إدارة هذه المشاركة بالتعاون مع اليونسكو، والمشاركة بدراسات عن تدريب القادة الإداريين فى التربية فى الصين بالتعاون مع المكتب الآسيوى الباسيفكي للتربية(٦٤) وتم وضع القوانين واللوائح الخاصة بالمسئولية القانونية وحماية براءات الاختراع ، مع دعوة المستشارين والمتخصصين والمديرين الأجانب لزيارة الصين، وتشجيع السياحة والسماح لمئات الآلاف من الطلبة بالسفر إلى الخارج لمواصلة دراساتهم.

## ٥ - آليات تعزيز الهوية الثقافية فى الجامعات الصينية:

تنوعت هذه الآليات والسبل فتضمنت ما يلى :

- **آلية التنوع والتداخلية للمنهاج الجامعي وفقا لأسس التقبل الثقافي الإيجابي:**

تعتبر التداخلية الثقافية قوة يمكن أن تبث حياة متجددة فى المنهاج الجامعى تحرر معها نظام التعليم من الشكل القديم فأسهم هذا التناول للتداخل الثقافى أو الثقافات المتداخلة إلى التغيير الجذرى فى مجتمع الطلاب بالصين، فجعله أكثر تحولا نحو الديمقراطية وأقل تفاوتا ومكانا تتعايش فيه القوميات المتعددة ، ويعملون معا لتحقيق المجتمع متعدد الأعراق ومتعدد الثقافات وأحيانا متعدد اللغات فى بعض أقاليمه، فالاعتقاد السائد هو أن يضم كل الطلاب ممن يتحدثون لغات بعض الأقليات الموجودة فى الصين، مما خفف من حدة اللاتماثل وحقق الاختلاط بحيث تشمل كل القوميات كالهاو أو ( الخوى) الذين لا ينتمون إلى عرق آخر غير العرق الصينى (الهان)، واليوجور والمسلمين الصينيين فى تركستان الشرقية أو ما يعرف بـــ ( سينكيانج) والتى تعنى باللغة الصينية الأرض الجديدة ، وكذلك القومية القازاقية الموجودة فى سينكيانج وشانغهاى ممن اشتقت لغتهم من اللغة التركية والقومية القرغيزية، وكذلك السالار والأوزيك والطاجيك والباوان، وتعمل الصين جاهدة على إعادة بناء الدولة على أسس التقبل الثقافى الإيجابى لما تستوعبه من تنوع مع الحاجة إلى اللامركزية ، حيث تم منح سلطة أكبر للمجتمعات المحلية وللمشاركات الشعبية.

- **آلية متطورة للحوار الطلابي وتبادل الآراء لتفسير الواقع الثقافي والأحداث :**

نظام التعليم الجامعى الذى جرى إصلاحه حديثا تبنى منهجا حديثا للتبادل الثقافى والتداخل ، حيث لا يتضمن فحسب أن يحتوى المنهاج الدراسى والجامعى على محتويات تقوم على أساس المهارات والمعرفة والقيم والاتجاهات ومواقف جماعات الهان ، بل أيضا تدريس الممارسات والمنهجيات اللازمة لتحقيق ذلك، وفوق كل ذلك تطور نظام جديد للتدريس والحوار والتثقيف يقوم على أساس ضرورة إتاحة الفرص للحوار وتبادل الآراء والنقاش والمقابلة بين وجهات النظر وطرائق تفسير وتفهم الواقع الثقافى والعالم المحيط(٦٥) فنشأت الحاجة إلى ضرورة تزويد المؤسسات بالجامعات الصينية بنظام متطور من الاتصالات يتحد فيه أعضاء هيئة التدريس والطلاب بالجامعة معا مع الاتصال المستمر بالعالم الاجتماعى الخارجى.

- **إنشاء جامعة على أرض الصين لأبناء الصينيين المغتربين :**

لم تنس الصين أبناءها المغتربين فيما وراء البحار، فأنشأت لهم جامعة لاستكمال دراساتهم فى أرض الوطن، وهى تولى اهتماما كبيرا لتعليم الطلاب من الجاليات الصينية فى البلدان الأجنبية والطلاب من هونج كونج وماكاو وتايوان الثقافة الصينية، وهى تقوم بتغيير طرائق التدريس متمسكة بالسياسة التعليمية المتمثلة فى ( خدمة أبناء الصين وراء البحار والمناطق الاقتصادية الخاصة) بهدف

مواجهة متطلبات التطور الاقتصادى فى الصين، ولذلك أنشأت معهد بحوث تعليم اللغة الصينية، ومعهد بحوث الآداب الصينية، مع الاهتمام بنشر اللغة الصينية وإنشاء مدرسة خاصة يتعلم فيها صغار الطلاب الوافدين اللغة الصينية، والتى تقبل أبناء العاملين فى السفارات والهيئات الأجنبية، واللغة الصينية هى لغة التعليم والتعلم ، بل تعلمهم فيها الخط الصينى وبعض المهارات الصينية.

- **مراعاة الحقوق الثقافية واللغوية وإحياء المشاركات للقوميات الصينية:**

مع إدخال الإصلاح التعليمى الذى يتأسس على مبادئ تبادلية الثقافات وتداخلها وأيضا المشاركة الشعبية مع تركيز خاص على التعليم متداخل الثقافات وثنائى اللغات فى بعض المناطق المترامية من الدولة الصينية، أصبح من الممكن أن يتم على المستوى القومى تنفيذ سياسات تعليم اللغات فمهدت الطريق للدولة والهيئات والوكالات المختلفة المعنية أن تتحمل مسئولياتها لضمان الحقوق الثقافية واللغوية للأقليات الصينية، مما جعل هذه الشعوب واحدة من الأهداف الرئيسية لهذه المؤسسات، ويستتبع ذلك أن كانت هناك تفرقة بين احتياجات التعلم الأساسية لطلاب الجامعات الصينية المحددة- أو القومية والعالمية- والاحتياجات الملموسة التى تخص الناحية الثقافية فى المجتمعات المحلية، لتحديد وإعادة تشكيل الاحتياجات التعليمية للطلبة الذين ينحدرون من جذور ثقافية واجتماعية مختلفة وتنقيح وتقييم مجموعة من التجارب التجديدية الابتكارية.

**تجاوب المقررات الجامعية المستعرضة مع القيم الصينية:**

من أجل التوظيف الآمن للمجتمع يتفق الطلاب مع مبادئ النظام والانضباط وبذل الجهد والاحترام والطاعة ، متمثلا فى الترابط والترشيد أو العقلانية والأمانة والقدرة الإبداعية، والفكر النقدى والتضامن والتعاون، وعمل الفريق والرغبة فى التعلم والدأب والمثابرة، في مقابل ما يثار الشك حوله بسبب المدخل الثقافى الجديد نحوالنزعة الفردية والسلبية والتطابقية والتماثلية مع الغير وعدم الاكتراث ، ومن ثم كان تركيز محتوى **المقررات والأنشطة الجامعية المستعرضة** فى الصين لتعزيز الاتجاهات الجديدة مثل احترام الآخرين والتضامن والعدالة والإحساس بالمسئولية وتقدير العمل وإنجازه والقيم التى ترتبط بالسلام والتعليم من أجل السلام والمحافظة على البيئة، واحترام الجنسين والتنوع المتداخل الثقافات واللغات المختلفة بالإضافة إلى قيم أخرى ساعدت الطلاب على استجلاء رؤية أوسع للعالم مع الحفاظ على هويتهم الثقافية التقليدية فى الوقت نفسه.(٦٦)

- **استخدام القوانين لفرض قيم وسلوكيات الهوية الصينية والإجبار عليها أحيانا :**

من الجدير أن نتحدث عن التلقين أو غرس الأفكار فى الأذهان، بأنه يتضمن عنفا رمزيا معينا يوجد فى عملية نقل القيم، ومن ثم تصبح نتيجة لذلك جزءا من خطة مستترة خفية، ومع ذلك فإن نقل **القيم** واستنساخها ليست مهمة تعليمية فحسب بل أيضا مهمة اجتماعية تهدف إلى ترسيخ أنماط

السلوك المقبول اجتماعيا، والمشكلة هنا هى أن الفرض أو الإجبار لا الإقناع كان هو المستخدم ليجعل الطلبة يتخذون قرارات مسئولة، ولكن فى ظل المنهاج الجامعى المتجدد دوما بالجامعات الصينية استبدل بالفرض حرية التعبير والجدل المحدود ومواجهة الأفكار بالأفكار، الأمر الذى يعلم الشباب الجامعى فى الصين أن يفكر ويستخدم عقله بشكل نقدى ، وأن يعبر عن آرائه بطريقة منطقية ومترابطة وأن يتحمل الاختلاف، وهذا قد استدعى وجود بيئات تعليمية جامعية تعزز بعض صور الديمقراطية في موقف مختلف تماما عما تحقق قديما فى الجامعات الصينية.

**تخطي ثقافة سلة المعلومات المتنقلة بالاستفادة من أعمال العلماء والباحثين:**

تعدى التعليم فى بعض الجامعات الصينية عصر المعلوماتية وباتت آثاره واضحة وجلية فى كتابات وأعمال الباحثين وأعضاء هيئة التدريس التي تمر بخطوات سريعة فى مجالات الطب والعمارة والهندسة فى كل المجالات ، فحادت تماما عن المتبع قديما فى عصور كلاسيكيات التلقين والحفظ والتباهى بثقافة **سلة المعلومات المتنقلة**، وأصبح الخوض فى غمار ابداع ما لم يكن فى الحسبان هو طريق النجاة، ولذا كانت إعادة هيكلة البرامج والمواد الدراسية بالجامعات وخفض عدد التخصصات الأكاديمية بالتركيز على المواكبة لحاجات المجتمع واقتصاد السوق والتطور العلمى والتكنولوجى وترك الأخرى التى لا طائل من تعلمها ، مع الاستعانة **بأساتذة أجانب** اشتهروا بكفاءتهم العالية فيما يدرسونه بالتدريس وقامت لجنة التعليم بتنفيذ خطة إصلاح المضامين الدراسية للقرن الحادى والعشرين، وإتاحة فرص الاختيار بين المواد والتخصصات التى يرغب الطلاب فى دراستها وهذا مخالف لما كان يحدث من قبل.

- **الاعتماد على التفسير والتحليل في اختبارات الكفاءة والتقييم الجامعي :**

لم يعد مقياس الكفاءة الوحيد فى المجتمع التعليمى بالجامعات الصينية شديد الارتباط بمقدار المعلومات المخزونة، فلم يعد من المفيد التلقين فى التعليم بقصد حفظ معلومات من قبيل المباهاة بالمعرفة أو الثقافة، فالأمر ليس فى النهاية هو مقدار ما تنساب به المعلومات من ذاكرة هذا أو ذاك، بل الاتجاه نحو التحليل والتنقيب فى كل المعلومات المخزونة، والخروج بمنتج صينى جديد ومفيد، قفز إلى بداية الطابور طليعة المحللين القادرين على قراءة المعلومات وفحصها بدقة ثم الربط بينها، وهذا هو الذى ساعد الصين على النهوض فى فترة زمنية وجيزة ، ولذا تراعى لجان التقييم نوعية من الاختبارات التى تميل إلى نوع التعرف على قدرة كل منهم على تقديم الجديد ، وكم تبلغ مساحة التفكير عنده وقابليته للابداع ضمن متطلبات عصره التكنولوجى، وعن رؤيته لمجاله الأكاديمى وماهية أحلامه وتطلعاته وارتباطاته ونشاطاته وقدراته على المساهمة.

**التكتل الجامعي لمواجهة التحرش الثقافى والتغلب على التحرش الثقافي:**

كان لزاما على اللجان الثقافية بالجامعات الصينية أن تحمى نطاقها الثقافى بكل الوسائل، وأن تعتبر ذلك أساسا من أساسيات عناصر أمن الصين القومى، إذ ما فائدة الحفاظ على الحدود السياسية مثلا بينما قد تم التحرش بالطلاب من ورائها ثقافيا وفكريا أو تم اختراقه أو ربما غزوه على هذا الصعيد ومن ثم هويته الثقافية ، ولذا لم نرى أى نوع من التفجيرات الإرهابية والتجنيد الذي يحدث عندنا ، غير أننا لانعدم أن نرى بعض النزاعات الطائفية التي تم تأجيجها من خارج الحدود ولأغراض سياسية وبدعم مقصود لإعاقة النهوض الصيني ، ولذا كان التكتل والترابط الجامعي والإداري هما السبيل بخاصة فى مجال الأنشطة الطلابية على أساس أن هذه الأنشطة وفنونها هى المرآة التى يمكن أن تقاس فيها الحركة الداخلية فى تركيبة وفكر المجتمع.

**دعم مشاركات وفنون الأنشطة الطلابية للتغلب على ثقافة المسخ والاستنساخ:**

خاصة مع كثرة تعرض طلاب الجامعات الصينية إلى تحرشات ثقافية متتالية ومتوازية فمع غياب ثقل النطاق الثقافى ، تستشرى فى جنباته وبين طلابه **ثقافة المسخ**، تلك الثقافة التى تتحول بموجبها ثقافة الطلاب إلى مجرد مسخ من مكونات ثقافية أخرى والخطورة أنه تظهر أعراض الاستنساخ الثقافى أول ما تظهر فى فنون المجتمعات الطلابية بالجامعات ، على اعتبار أن هذه السن وما يعتريها من فنون يتمثل بها الأمر بين الطلاب والطالبات، ، وما يمكن أن يكون قد ترسخ فى نفوس الشباب، وما يمكن أن يستجد على المجتمع من متغيرات بعضها بطيئة والبعض الآخر سريعة وبما لا يمكن لمرآة أخرى أن تعكسها بنفس الدرجة والوضوح.

**المشاركة فى الاحتفالات القومية والشعبية والتغلب على الهزيمة النفسية:**

سنويا يشارك الطلاب في احتفالات خاصة بالسنة القمرية الصينية، ويظهر فى هذا الشأن مدى الجهد الخاص بكل جامعة ومشاركات الطلاب فى إحياء هذه الاحتفالات التى يزخر بها دوما المجتمع الطلابى الصينى، ومن جهة أخرى تقوم الفرق الجامعية فى مجال التمثيل بتقديم العديد من المسرحيات والأعمال الفنية التى تظهر مثلا **الفرد اليابانى** فى مكانته الحقيقية بالنسبة للشعب الصينى، وكذلك الحال بالنسبة للمارد أو **السوبر الأمريكى** فلا يحدث نوعاً من الهزيمة النفسية للشعوب الصينية واستعظام الهدف، بل دوما يتم تقديم الأعمال الفنية التى ترفع من الروح المعنوية والحفاظ على التقاليد الثقافية لدى الطلاب كأحد سبل تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على القيم الصينية التقليدية فى العمل.

- **التنيسق مع المؤسسات الثقافية والجمعيات الشعبية المحلية :**

استكمالا للدور الذي لعبته الجامعة الصينية برزت بصورة متكاملة معها **أدوار المؤسسات الثقافية والجمعيات الشعبية** وغيرها من القنوات المنتشرة في عموم الدولة لتمارس جهودها المختلفة

، فاستطاعت هذه المؤسسات والجمعيات أن تفرز الكثير من النتائج الإيجابية الملموسة من **مهرجانات وفعاليات ثقافية** معروفة لدى الجميع، هذه الفعاليات أسهمت بشكل أو بآخر في إذكاء الحضور الثقافي الصيني لدى الطلاب بصورة مستمرة، وإلى جانب هذه المؤسسات الثقافية والقطاعات التعليمية برزت أيضا الجهود الفردية التي بذلتها شرائح من المبدعين على جميع المستويات، لنجد أن هذه البانورامية من تعليم ومؤسسات ثقافية وأفراد كانت لها ثقلها ووجودها، حيث شهدت البلاد طفرة لا تقل أهمية أبدا عن الطفرة المادية فى جميع جوانب الحياة الثقافية فى المجتمع الطلابي الصيني.

## ثالثا التحليل المقارن

ما من شك أن نظام التعليم بالجامعات الصينية ذاخر بالعديد من المزايا وجوانب القوة وأيضا نقاط الضعف حيث أن عقد مقارنة دقيقة ومفصلة بين العناصر المتعددة التى تتعلق بدور الجامعات فى الحفاظ على الهوية الذاتية الثقافية وتنميتها وتعزيزها فى نظم التعليم الجامعى العربي والصينى تتطلب مساحة تتجاوز المساحة المقررة لهذا البحث بقدر كبير، لذلك فإن ما ورد هنا هو عبارة عن مادة تركز على عدد قليل جدا من العناصر التى تشكل فى رأى الباحث عناصر التميز الأكثر أهمية عند المقارنة بين النظامين حيث تشابه كل من النظامين في :

- **أوجه الشبه بين مجتمعي الدراسة :**

**تشابه الهيكل الثقافى الثنائى:** إن تكوين الهيكل الثنائى للثقافة الصينية الحديثة، وكذلك الثقافة العربية الحديثة يتشكل كل منهما من قطبين متعارضين هما الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة، ويوجد بينهما الكثير من الحلقات المتوسطة أو التكوين الانتقالى، وقد يحدث فى هذا التكوين الخاص بهذين القطبين المتعارضين نوعاً من الصدام والمقاومة باستمرار، إذ يحاول كل منهما تجميد الآخر.

**تعايش طلاب الجامعات داخل نوعين من الثقافة:** يدل التحديث في حد ذاته على الهجوم على الثقافة التقليدية وتحطيمها ونقدها، مما يسبب صراعا دائما حول الحفاظ على **الهوية الثقافية**، خاصة وأن عملية التحديث هى عملية انهيار نظم الثقافة التقليدية وإقامة نظم للثقافة الحديثة، وفى الوقت نفسه تجسد نظم الثقافة التقليدية بالغريزة رفضها للتحول إلى التحديث ومقاومته أيضا، مُشكّلة ما يطلق عليه **"الهيكل الثقافى الثنائى"**.

**التماثل البعيد فى تأثير العوامل الدينية:** الصينيون يميلون إلى التساهل بشكل كبير فى نظرتهم الدينية، بل إن هذا التجانس العرقى والثقافى والدينى أكثر ميلاً إلى تعزيز السمات الصينية وجعلها توجهاً جماعياً قوياً، مما أدى معه إلى تقوية أولوية الانسجام فى العلاقات ، فالنظرة الإلحادية التى كانت تسود فى الدوائر السياسية والثقافية تحت الحكم الشيوعى المتشدد لم تعد قائمة اليوم مع وجود

الانفتاح فالعمل على نشر التنمية فى مختلف المناطق أدى إلى إحساس الجميع بالراحة وتبادل الاحترام المتبادل للشعائر والمقدسات الدينية كما هو الحال بالمجتمع العربي.

**الجمع بين المركزية و اللامركزية:** مع بروز توجّه نحو اللامركزية منذ العقود الثلاثة الماضية، أصبحت الفكرة المهيمنة على التعليم الجامعى الصينى تدعم اللامركزية، وصلت إلى حد **إشراف الدولة من بعد** على بعض المؤسسات الجامعية بالاشتراك والتعاون مع بعض الشركات المحلية، وكذلك الحال فى الدول العربية ، حيث تتمتع هى الأخرى بنظم تعليم شديدة المركزية ، وهذا النمط مهما كانت نقاط ضعفه إلا أنه يفرض معايير وطنية واضحة يفتقر إليها النظام اللامركزى.

**انتهاج الرقابة الأمنية والسياسية للبرامج والأنشطة الطلابية :** من بين القضايا الأكثر جدلا فى الجامعات العربية نظام إقرار البرامج والمقررات والأنشطة الثقافية متمثلا فى مسألة فرض الرقابة السياسية والأمنية خاصة تلك التى تتعرض للتاريخ والعلوم الاجتماعية التي هي من أسس الهوية الثقافية، وفى هذا الشأن يتشابه معاً التعليم الجامعي العربي والصينى، وإن خفت حدتها وتوجهت للتجاوب مع آليات ومتطلبات السوق بالنسبة للجامعات الصينية.

**تعدد صور وأشكال تفسخ الطلاب من الهوية الثقافية:** فى صراع الحفاظ على الهوية الثقافية عانى ويعانى الطلاب فى **الجامعات الصينية** من العديد من الأمراض الثقافية مثل اللانظامية واختلاف نماذج السلوك المضطربة، والشكلية واختلال منظومة القيم، ونمو لغة ثقافية جديدة بينهم، والاهتمام بالشهادة على حساب بناء الشخصية، وهذا يتشابه أيضا مع سلوكيات الكثير من طلاب **الجامعات العربية**، وفوق هذا يواجه المجتمع الطلابى عموما من صراع مع النظم الاجتماعية والثقافية القائمة، وأزمة ثقافية تتخذ شكل تمرداً واعتصامات تؤدى إلى ترسيخ ثقافة الانسحاب أحيانا ، والعنف الزائف وتشكيل ثقافة الصمت عند جانب كبير منهم، بل والهروب الثقافى صوب الجماعات الدينية والحزبية، مشكلاً مقاومة كامنة مكبوتة، وذلك بسبب تجاهل المؤسسات الجامعية لاحتياجاتهم ، فضلا عن ضعف الصلة بينهم وبين أعضاء هيئة التدريس بكلياتهم، وضعف وِقدم البرامج الثقافية المقدمة لهم، ولقد أدى هذا كله إلى **تعزيز الاغتراب الثقافى** بين طلاب مجتمعى الدراسة.

**تقوية العلاقات والتعاون بين الجامعات وشركات العمل :** فالتعاون المثمر الذى تم بين الجامعات الصينية وفتح قنوات متعددة لتوفير الموظفين، وما تم من تبادل للكتب والمعلومات والمواد التعليمية المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا المعلوماتية رفع من كفاءة تسريع انسياب المعلومات على المستويين المحلى والإقليمى، وكذلك الحال عندنا إذ تتم عبر آلية الانتداب الخارجى والإعارة والتبادل الثقافى والتقنى بين الجامعات العربية المختلفة ، لكنها من جانب آخر تقصر فى مجال التبادل وتحقيق الاستفادة من الشركات والمصانع، والذى يسهم بدوره فى مجاراة السوق ومتطلباته وآلياته.

- **أوجه الاختلاف بين مجتمعي الدراسة :**

يمكن القول أنه توجد بالفعل خبرة صينية فى الحفاظ على الأمن الفكري والهوية الثقافية للطلاب بالجامعات الصينية، وهي ذات أبعاد متنوعة بعضها كان سياسياً، وبعضها كان اقتصادياً واجتماعياً، والبعض الآخر كان تعليمياً ثقافياً، وهى فى هذا تتسم بالعديد من السمات والأساليب والآليات التى ميزتها وجعلتها مختلفة عن تلك المحاولات التى تمت فى الجامعات العربية كما يلي:

**الامتداد الجغرافى الصيني فى مقابل التماثل والتقوقع القطري العربي:** منذ عهود طويلة ظل الصينيون يتمتعون بالمزايا الكبيرة التى يُهيِّئُها العيش داخل قارة وفى المقابل ينحشر طلاب الجامعات العربية غالبا داخل مدن قطرية فى حجم مقاطعة بكين أو شانغهاى، فهذه الفوارق الجغرافية الأساسية لها أثر مهم فى تحديد شكل وبنية المجتمع حيث اتجه الشعب الصيني إلى ترسيخ سمات مثل: الجماعية، والانفتاح، وحرية التنقل داخل ربوع الدولة، والتجريب، مع التسامح تجاه التنوع والتعددية الثقافية، كما أن التدفق المستمر لإسهامات الجماعات المتنوعة فى الثقافات والأديان واللغات داخل المجتمع الصينى يعزز هذه السمات ، ولقد ساعد هذا كله على الحفاظ على بعض جوانب الهوية الثقافية.

**انتقال التعليم الجامعى من الصفوة إلى العامة فى الصين:** انتقلت الصين من التعليم العالى والجامعى للصفوة إلى العامة كجزء من تحولها إلى ثقافة المجتمع الحديث، ولكن صاحب هذا التوسع تغيرات فى القيم الاجتماعية والثقافية والأيديولوجية التى يعتنقها الطلاب فى جامعات الصين، ولكنها من جانب آخر ساهمت فى رفع المستوى والوعى الثقافى العام للشعوب الصينية، واعتزازها بقيمها التقليدية فى مواجهة تحديات ومخاطر العولمة الثقافية الراهنة.

**الطفرة الإدارية الكبرى بالجامعات والتحول نحو اقتصاد السوق:** بزيادة عدد المعاهد والكليات الصناعية التى تعمل بعض الوقت ، والإصرار على **إدماج العمل الانتاجى فى برامج التعليم** على كل التخصصات، ولقد صار التحول فى مجال مؤسسات التعليم الجامعى فى هذه السنوات القليلة بما يعادل الطفرة الكبرى متوازياً مع التغيير فى الاقتصاد الصينى المخطط، مخالفاً بذلك النمط الصينى القديم من مركزية مكثفة لرأس المال إلى **اقتصاد سوق** لا مركزى مكثف للعمالة، فأحدثت تنمية شاملة ساهمت فى التوافق بين توظيف الشباب الجامعى وبين السياسات والممارسات القائمة فى الجامعات الصينية على طول البلاد واختلاف الأقاليم.

**اختلاف وتنوع أساليب الحفاظ على الهوية الثقافة:** لقد عكست البرامج والأنشطة التعليمية والثقافية بالجامعات الصينية القيم والتقاليد الصينية، وحافظت على جوانب كثيرة منها فى وجه تيار العولمة الثقافية الجارف، وسطّرت فى هذا الشأن أساليب عديدة مثل المشاركات فى الاحتفالات القومية، وصرامة المنهاج الجامعى الثقافى، وتحجيم سلوكيات الشباب الجامعى، وتطوير برامج التوعية

الثقافية لبعض الفئات، فضلا عن تطوير أشكال التكامل والتوافق بين كل من التعليم والبحث والتدريس والانتاج، وتطوير دور المكاتب الدولية للعلاقات التربوية والثقافية، وتقديم نظام جديد للابتعاث والبرامج التربوية المتبادلة عبر البحار، بينما نجد أن الجامعات العربية عانت ومازالت تعانى من العديد من أوجه القصور فى هذه الجوانب، بل وتخبط فى السياسات وممارساتها وبخاصة فى الأنشطة الثقافية، فضلا عن تحجرها وقدمها، وعدم تطوير آلياتها وسبلها فى مواجهة التحديات الثقافية والأمنية ، وذلك بسبب بُعد المؤسسات الجامعية عن الحياة الثقافية للمجتمع الطلابى.

**تعدد وتنوع آليات تعزيز الهوية الثقافية بالجامعات الصينية:** فاشتملت على آلية التجاوب المستمر من قبل المقررات الجامعية مع القيم الصينية، وآلية التنوع والتداخلية الثقافية، وتقديم آلية متطورة للتبادل والاتصال الثقافى ونشر المكاتب الثقافية فى كل دول العالم، فضلا عن مراعاة الحقوق الثقافية واللغوية للأقليات والقوميات الصينية المختلفة، وإنشاء جامعة خاصة بأبناء المغتربين، وتعظيم أوجه الاستفادة من أعمال العلماء والباحثين الصينيين، والتكتل لمواجهة التحرش الثقافى والتغلب على ثقافات المسخ، فساهم هذا كله فى الحفاظ على أبعاد الهوية الثقافية في وجه التحديات.

**اختلاف نظرة الطلاب إلى السلطة والجماعة:** فى الوقت الذى يتوقع فيه من الطلاب الصينيين الخضوع للسلطة والإسهام فى نظام اجتماعى متسق دون السعى وراء أهوائهم الشخصية التى ينظر إليها على أنها فردية أنانية، نجد أن الطلاب العرب يتمسكون باعتقاد يكاد يكون غريباً، مضمونه أن حقوق الفرد يجب ألا تخضع لسيطرة أحد، وتلك عقيدة يجد الكثير من طلاب الجامعات العربية صعوبة فى فهمها.

**تنوع شكل المقررات والاختبارات الجامعية :** يوجد فى الجامعات العربية نقد مستمر موجه لبعض الكليات التى تقدم مقررات وبرامج جامعية ذات محتويات هزيلة، ومن المثير ملاحظة أن هناك من ينادى بوضع منهاج دراسى ذى معايير قومية فى تزايد مستمر كأحد الرؤى للتغلب على الوافد من الثقافة، والتحصين فى عصر العولمة الثقافية والانحرافات الفكرية ، وهذا مخالف لما يتم فى الجامعات الصينية، لذلك من العدل القول أن الطالب الجامعى فى الصين سواء فى بكين أو هونان أو يونان أو ميانمار أو هينان أو مكاو يحظى وبصفة أساسية بالمستوى نفسه من المساندة ونوعية التدريس، وإن كان هناك اختلاف فى التنوع واختصار فى عدد التخصصات الجامعية، وتغير فى معايير الاختبارات بحثاً عن مواطن الإبداع لدى الطلاب وقدرتهم على النقد والتحليل.

## رابعا : التصور المقترح

لا بد من الاعتراف أن هناك تهميشا وإهمالا للعامل الثقافى والأمني لدى جامعاتنا العربية أحيانا على حساب كل من العاملين العلمى والتدريسي ، وأن هناك تغييبا للأنشطة الطلابية المتعلقة بالهوية

الثقافية والأمن الفكري للطلاب ، فالمشاريع والمخططات الثقافية في الجامعة التي تنشد التنمية والحفاظ على الهوية الثقافية تأتى ضعيفة المحتوى والمضمون ، لأن العامل الثقافى والأمني لم يكن يحظى باعتناء واضعى هذه المخططات والمشاريع التعليمية ، إذ يوجد بين المستهدف الأصيل والواقع المتحقق مساحات تتفاوت اتساعا بين الحين والآخر فى ضوء ما تعايشه وتتفاعل معه من متغيرات وأحداث اجتماعية واقتصادية وثقافية ، وهى فى هذا التفاوت اتسم فى أغلب الأحيان خلال العقود الماضية بإيثار ردود الفعل عن الفعل وبالتأرجح بين المسايرة والتبرير بديلا عن المغايرة والتفنيد ، وبالصمت بدعوى الحياد فى مقابل المواجهة بالموقف والرأى ، وقد أصابها فى كثير من السنوات ما اقتحم حرمها من الصدامات والعنف الرمزى وغيره من القوى الخفية ، ولذا أظهر الجسم الجامعى العربي بين الحين والآخر ما يشى بتململه واحباطاته فى صور من الاحتجاج ، وضروب من المقاومة واغتراب الطلاب عن شئون مجتمعهم وشجونه وتطلعاته فوقع أسيرا لصراعات مذهبية دعما لهذا أو ذاك من قوى الهيمنة.

ولعله بات ضروريا القيام بعملية تشخيص حقيقية للمسار الثقافي والأمني فى الجامعات العربية، وخاصة من المعنيين والجهات المختصة لاستبيان التطورات الإيجابية لتأكيدها وتعزيزها وتحديد الآثار السلبية لمعالجتها، ولكن لابد أن تقوم هذه المعالجة على الدقة والأمانة في التشخيص دون تظليل أو تعتيم، إن عملية المراجعة هذه لابد وأن تنطلق من رغبة حقيقية مرتبطة بالهمّ الثقافي والهوية الثقافية، ومن الإيمان الكافي بأهمية تطوير حضوره في البنى الأساسية للمجتمع الجامعى العربي، باعتباره من الرهانات الوجودية مثلما تعتبرها الكثير من الدول الواعية ومنهم الصين لأهمية الثقافة في هذه المرحلة الاغترابية والمصيرية ، **وفيما يتعلق بالأمن الفكري لابد من القيام بالإجراءات التالية:**

١. فى الفكر والثقافة والعقيدة : لابد من تنمية تيار وتوجه الإحياء والتجديد والاجتهاد، والذى هو وسط عدل بين تيارى الجمود والتقليد والاستلاب الحضارى والتبعية والتغريب.
٢. ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة والتمسك بثوابتها ، وتعزيز قيم الوسطية والتسامح والاعتدال من خلال المناهج والأنشطة المصاحبة، والعمل على إشاعة ثقافة الحوار وتقبُّل الرأي الآخر.
٣. لابدمن التحرر الاجتماعى وشيوع ثقافة الإصلاح والتسامح معا، وترسيخ مفاهيم الحوار بين الطلاب ومعهم وتغيير النظرة التقليدية تجاه عناصر المجتمع الطلابي بالجامعات.
٤. توضيح العلاقة بين حضارتنا العربية والإسلامية والحضارات الأخرى: ولابد من الإيمان بالتعددية الحضارية ، فعالمنا منتدى حضارات مفتوح أمام الطلاب وليس حضارة واحدة، والعلاقة بين هذه الحضارات يجب أن تكون تفاعلاً يبرأ من غلو الانغلاق وغلو التبعية أو الذوبان.
٥. العمل على تنمية قِيَم الانتماء والمواطنة للحفاظ على الهوية الثقافية ، والإشراف المكثف على الأنشطة الثقافية والطلابية لضمان عدم توظيفها لنشر الانحرافات الفكرية.

٦. اكتشاف أعراض الانحراف الفكري مبكراً لدى الطلاب بأساليب غير تقليدية من أجل معالجتها في بداياتها، ودراسة المشكلات التي قد تؤدي إلى التحاقهم بأى من الجماعات المنحرفة ، ورصد الظواهر السلوكية الغريبة.

٧. لا يمكن للانفتاح الثقافى على العالم أن يشكل فرصة حياة وثراء ومشاركة فاعلة إلا بمقدار تماسك نواة الانتماء الوطنى وقوتها الجاذبة، ولذا لابد من تحصين طلاب الجامعات بهوية وطنية ثقافية متينة البنيان واضحة المعالم.

٨. الحرص على رفع مستوى ثقافة أعضاء هيئة التدريس الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية للعمل على تحقيق الأمن الفكري للطلاب.

٩. إحياء دور الجامعة الثقافي والأمني من جديد ووضع ضوابط دقيقة علمية لتقويم أداء أعضاء هيئة التدريس في مجال تحقيق الأمن الفكري بصورة فعّالة ومعالجة الخلل إن وجد.

١٠. مراجعة الأوعية الثقافية المتاحة للطلاب لتنقيتها مما يدعو إلى الغُلُو والتطرّف، وتوفير المراجع والمطويات والمنشورات العلمية المناسبة لمعالجة الانحرافات الفكرية والعقدية والسلوكية لتكون في متناول الجميع.

١١. بناء مقررات دراسية جامعية تتضمن شرحاً وافياً لأحكام الإسلام فيما يستند إليه دعاة الانحراف الفكري لتبرير أقوالهم وأعمالهم، وبيان منهج الإسلام في تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وتوظيفها لإيضاح مدى خطورة الانحراف الفكري والاستنساخ الثقافي.

١٢. شغل أوقات الفراغ لدى الطلاب بإنشاء أندية علمية وثقافية واجتماعية وتطوعية لاحتواء الطلاب مع استمرار تنظيم اللقاءات العلمية والحوارية التي تهتم بمناقشة سُبل تحقيق الأمن الفكري.

والاعتراف بأن أزمة طلاب الجامعات العربية الثقافية هى فى أساسها أزمة حضارة وثقافة كونية ميهمنة ، أزمة جامعات مجتمع عربي لم تفلح في ترسيخ هويته الثقافية لدى طلابها لتقف كمصدات أمام قوى التيارات الفكرية والثقافية الوافدة ، وأزمة نظام تعليمى مهترئ يعاند نفسه وأزمة شباب حائر فى اختياراته وانحيازاته ، ومن هنا جاء قلق هؤلاء الطلاب وإن كان ظاهرة باعتباره المسئول الأول أو هكذا يجب أن يكون عن نقل المنطقة العربية من أوضاعها التقليدية المتخلفة إلى مجتمع حضارى متقدم ، إذ يأتى هذا القلق وتلك الاحتياجات فى صالح الإصلاح والتغيير دون شك لتصبح الكتلة الطلابية قوة ضغط مؤثرة ولوبي من أجل حياة جامعية أفضل ، **وفيما يتعلق بتنمية وتعزيز الهوية الثقافية لدى طلابنا يجب القيام بالآتي :**

١. تفعيل دور البحث العلمي في مجالات دراسة وتحديد المقصود بالهوية الثقافية والمسخ والإستنساخ والتحرش الثقافي.
٢. إجراء الدراسات المتعلقة بقياس معدلات التفسخ الثقافي لدى الطلاب ورصد الظواهر والسلوكيات الوافدة.
٣. ضرورة التفريق الجوهرى بين الغزو الثقافى والاتصال والتفاعل الثقافى، وكيف يمكننا أن نفرز بيسر وحكمة وبصيرة الغزو من الاتصال والتفاعل الثقافى.
٤. تعزيز الثقافة العربية ونشرها، والمحافظة على التراث ونقله من جيل لآخر، بالإضافة إلى تعريف العالم الخارجى به، فيتحمل التدريس ترسيخ الجوانب الثقافية وغرسها فى الطالب.
٥. فى الشخصية القومية: الخطوات السريعة للتغير الثقافى الذى يحيط بنا تجعل اسهامات الجامعات العربية فريدة فى أهميتها، لتتيح لنا مسايرة التغيرات الثقافية، وأن نضفى عليها المعنى والمغزى المحلى، وأن ندير أمور المستقبل الثقافى لخصوصياتنا، كما هو الحال بالجامعات الصينية.
٦. لابد من تفعيل إيجابيات الثقافة العربية الإسلامية خصوصاً فى مضامينها المستقبلية بالإرادة والقرار المقصود، هذا التفعيل يتطلب عملية شاملة لمحو الأمية الثقافية والوطنية ، وليس من جمهور يمكن انخراطه فى هذه العملية أكثر استعداداً من الطلاب والباحثين بطبيعتهم عن بناء هوية كيانية.
٧. إصدار القوانين التى تلغى التفرقة القائمة بين تعليم جامعى فى المدن الكبرى وتعليم جامعى فى الأقاليم وتحاشى التفاوتات ، بحيث يتم احترام الثقافات واللغات والمهارات والأجهزة التنظيمية المختلفة للمناطق والمجتمعات المحلية، وإتاحة الفرص للسلطات المحلية أن تنشئ وتنظم المراكز والمؤسسات الثقافية المحلية التابعة للجامعات الإقليمية وفقاً لاحتياجاتها الخاصة بها.
٨. تعويد الطلاب على التغلب على معوقات النهج الديمقراطى، وتأكيد مبدأ الحوار فى العملية التعليمية واحترام الرأى والرأى الآخر وترسيخ مفاهيم التسامح والتعايش من خلال الممارسات والمشاركات، مثلما اتجه إليه الحال بالجامعات الصينية.

وإذا كانت الدراسة الراهنة تؤكد على ضرورة تطوير الجامعة فى تفاعلها مع متطلبات العولمة وتحدياتها الثقافية ، فالحاجة ماسة إلى مداومة الحوار الجاد حول بُغية الوصول إلى إجابات جريئة تستدعى معها عقلاً جديداً يُدرك أهمية دور الجامعة الثقافى من قِبل قياداتها وأساتذتها وطلابها، وحشد الجهود والموارد الكافية لخلق مستقبل بنّاء للهوية الثقافية، بحيث تصبح الجامعات مساهمة فى تكوين مجتمع طلابي ناهض بخصوصياته الثقافية، مدافع عن قيمه وهويته ، ينأى عن أن تطغى على تنظيماته ومضامينه توجهات وتحديات ثقافية مهيمنة، وليكن شعار تطويرها هو السعى دوما نحو (ترسيخ ثقافة أصيلة معاصرة متجددة ومبدعة) تسهم فى بناء مجتمع طلابي انتقالى جديد فى العلم والمعرفة والثقافة والانتماء، ويتسم باضطراد الاقتدار والثقة بالنفس ، وفى ضوء هذا يقترح :

١. التخطيط للموارد المخصصة للأنشطة التى تساعد في تحقيق الأمن الفكري للطلاب وتعزز من الهوية الثقافية وسبل إدارتها والإشراف عليها ومراقبتها محليا، والهدف هو جعل الطلاب جميعا يشعرون أنهم هم الفاعل والمفعول (الموضوع والهدف).
٢. الإيمان بأهمية الأمن الفكري وضرورة تنمية البعد الثقافي الوطني، فالثقافة الهزيلة والمتنامية لدى الطلاب تعمل على تآكل شخصية الفرد، وتفريغه من هويته الثقافية وزعزعة الانتماء.
٣. محو الأمية الثقافية والوطنية مع محو الأمية الإعلامية الوافدة، لتبيان حقيقة أبعاد مشروع التنميط الكونى الموجه للطلاب : محو أمية أبجدية الصورة، ومحو أمية الثقافة الإليكترونية، ومحو أمية التحيزات الإعلامية الصارخة، وتحجيم سلوكيات الطلاب، وهذا كله يستدعى وضع برامج ثقافية جامعية وتطوير برامج حوارية حول الأمن الفكري والتوعية الثقافية، لتشكل جزءٍ متكامل من التكوين الثقافى والعلمى للطالب الجامعى.
٤. انتهاج التعليم المتداخل الثقافات واللغات، وأن يصاحب هذه الأمور أدوار جديدة لعضو هيئة التدريس ليكون رفيق سفر ومرشد للطلاب والمنسق والميسر لنشاطات التعليم والتثقيف بدلا من كونه مستودعا للمعرفة ووعاء للحكمة (سلة معلومات متنقلة).
٥. ضرورة التخلى عن الطرق البائدة فى الاختبارات الجامعية جميعها، فلم يعد الطالب الحافظ والمستظهر هو الرابح فى نوعية الاختبارات، يلزم ابتكار أنواع جديدة من الاختبارات لعصر المعلوماتية، ترتكز على ثقافة توليد الأفكار التى تحمل معنى الاتصال والتفاعل العلمى والثقافى والقدرة على التحليل والنقد وليس النسخ والتقليد الأعمي لثقافة الغير.

وأخيرا ضرورة الاعتراف بأن حالة الاستهداف الثقافى التى يتعرض لها طلابنا تتطلب أعلى درجات المتانة الشخصية جسدياً ونفسياً وثقافياً لتتحمل أزماتها، وتتمكن من الصمود فى وجه تحدياتها وتهديداتها، فالطابع الكونى الشمولى يتطلب طلاباً قادرين على الانفتاح والتواصل والتفاعل والمشاركة، وإقامة علاقات التكافؤ والندية، والتعامل الديمقراطى الذى يتضمن الاعتراف بالذات وبالآخر ككائن شبيه، شخصيات طلابية على درجة عالية من الثقة والتكامل الثقافى، وقادرة على إثبات ذاتها وتعظيم فرصها، واستيعاب التحولات والمفاجآت من خلال قدرتها على التغير والنمو المفتوح فمسألة تحديد الهوية الثقافية ليست مسألة اعتراف بواقع بسيط، بل إعادة تركيب " الشخصية التاريخية " والتى تتطلب إعادة النظر فى النقائص والمعوقات، وقبول معركة التصدى لها إنقاذا للهوية الثقافية وصناعة متجددة لها.

مع تقديم رؤية نقدية للأفكار والنظريات المعادية للإسلام بين طلاب الجامعات: وحلّ الإشكاليات التي يثيرها خصوم الفكر الإسلامى ، وتنمية حرص طلاب الجامعات على معرفة حقوقهم

السياسية والثقافية: بحيث يكون على درجة من الوعى الثقافى تؤهله لكى يعرف كيف يحصل على حقوقه، مع المحافظة على حقوق الآخرين وحق مجتمعه وأمنه ، ومعرفة الطرق والأساليب التى تساعد فى المحافظة على هذه الحقوق، كما تؤهلهم للوصول إلى مصادر المعرفة الصحيحة والملائمة لقيم وعادات مجتمعاتهم وهوياتها الثقافية، والتى تجعلهم يسيرون فى الاتجاه الصحيح، والبعد عن الانحرافات الفكرية والتيارات الهدامة لخصوصية مجتمعاتنا الثقافية.

مع تقديم عدد من المقررات الجامعية المستعرضة كما هو بالجامعات الصينية، والتى تعزز من الاتجاهات الجديدة والقديمة لدى الطلاب، مثل احترام الآخرين والتضامن والعدالة والإحساس بالمسئولية القومية، وتقدير العمل الجماعى والإنجاز، والمحافظة على الطبيعة واحترام الجنسين والتنوع فى ظل التكامل.

## المراجع والهوامش

[1] - *Elliott, Alan; Comparison and Interchange :* ***The Relevance of Cultural Relations to Comparative Education, Comparative Education Review****, 1998,v 2, n 2, p. 63*

[2]- أحمد إسماعيل حجى : **التربية المقارنة**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨، ص ص ٢٦- ٢٧. .

[3] - عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس : **الأمن الفكري** ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والبحث العلمي ، ص ١.

[4]- أبو بكر مرسى محمد مرسى : **دراسة مقارنة لمستوى القلق وعلاقته بتحديد الهوية لدى المراهقين من المدخنين وغير المدخنين**، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة الزقازيق، ١٩٨٨، ص ٩.

[5]- كريمة سيد محمود : **دراسة لأزمة الهوية فى المراهقة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٦، ص ص ٩-١٠.

[6] - مصطفى حجازى : **صورة طالب التعليم العالى المناسبة لمواجهة تحديات مطلع القرن** ، فى : **التعليم العالى وتحديات مطلع القرن الحادى والعشرين** ، المؤتمر التربوى الثانى لقسم أصول التربية - جامعة الكويت ، المنعقد خلال الفترة الزمنية : ٦-٩ ذو القعدة ١٤١٤هـ/ ١٧- ٢٠ أبريل ١٩٩٤م، القاهرة ، ص ١٨.

[7]- يوسف حسن نوفل : **الهوية والموروث الثقافى والتعليم العالى، مؤتمر التعليم العالى فى العرب وتحديات القرن ٢١** ، جامعة المنوفية، والمنعقد بمركز إعداد القادة – الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة بمدينة نصر- القاهرة ، خلال الفترة الزمنية ٢٠- ٢١ مايو ١٩٩٦.

[8]- عادل عبد الله محمد : **دراسة مقارنة فى تقدير الذات بين الشباب الجامعى باختلاف أساليبهم فى مواجهة أزمة الهوية، فى مجلة كلية التربية بالزقازيق**، العدد ١٤، السنة ٦، يناير ١٩٩١.

[9] - *Zou, Yali and Enrique, T. (Eds);* ***Ethnic Identity and Power: Cultural Contexts of Political Action in School and Society****, SUNY Series, Power, Socila Identity, and Education, State University of New York Press, 1998.*

[10] - *Trow, Martin A. and Nybom, Thurston;* ***University and Society, Essays on the Social Role of Research and higher Education****, Education Policy Series 12,*

[11]- *Jones, David and Others (Eds);* ***One World, Many Cultures****, Paper From the International Conference on Adult Education and The Arts, 4th, St. Andrews, Scotland, July 10-014, 1995.*

[12]- ضياء الدين زاهر : **جامعاتنا العربية فى مطلع الألفية الثالثة" تحديات وخيارات"، كراسات مستقبلية**، سلسلة غير دورية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

[13] - مجدي رجب اسماعيل: **واقع المؤسسات التعليمية في مواجهة ظاهرة العنف والإرهاب، مجلة كلية التربية** – جامعة عين شمس، العدد ٢٩، الجزء الثاني، ٢٠٠٥م.

[14] - *Cheatham, Harold E. and Others ( Eds);* ***Cultural Pluralism on Campus, American Association for Counseling and Development****, Alexandria, VA, 1991, ERIC; ED338929*

[15]- س . ج بريتوريوس و ى . ك . إكسو : **التعليم العالى والتحول من الصفوة إلى العامة ، منظور صينى، مستقبليات** (١٢٥)، المجلد (٢٣)، العدد (١)، مارس / آذار ٢٠٠٣.

[16] *-Altbach, Philip G. and Peterson, Patti McGill(Eds);* ***Higher Education in the 21st Century : Global Challenge and National Response****, Institute of International Education ( IIE) Research Report No 29, New York, 1999.*

[17] *- Sabour, M'Hammed;* ***The Impact Cultural and Economic Globalization on The Planning and Function of Higher education in North Africa and the Middle East****, in;* ***Mediterranean Journal of Educational Studies****, v 4, n 2, 1999.*

[18]- نوال حلمى مرسى عطية : **دور الأنشطة الطلابية فى الجامعة ودورها فى تثقيف طلابها**، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية النبات – جامعة عين شمس، ١٩٨٥.

[19]- عارف عطارى : **الوعى العالمى لدى الطلاب الأجانب فى الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا واتجاهاتهم نحو بعض القضايا الدولية**، **مجلة مركز البحوث التربوية**، مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، العدد ١٥، السنة ٨، يناير ١٩٩٩.

[20]- أصبحت هناك أشياء كثيرة تتغلغل فى أمور معاش الطلاب اليومية في جامعاتنا العربية بما انتشر لدينا من سلع الكوكلة والبسبسة( شرابا) والكنتكة والمكننة( طعاما، والكجولة( لباسا) والجاكسونية (غناء)، وأشرطة الفيديو كليبات( سماعا ورؤية)، والمحمول ( تواصلا) والدشات وفضائياتها ( مشاهدة)ونزعات الفردية والعنف ( سلوكا) والاستثمار سريع العائد (اقتصادا) والقروض والمعونات(تمويلا) وتوجيهات الصندوق والبنك (بيعا وخصخصة) والاستهلاك المستفز وطقوسه(مكانة)، لمزيد من التفاصيل أنظر : حامد عمار : **نحو تعليم المستقبل العربى، مجلة العربى** ،العدد ٤٩٤، الكويت، يناير ٢٠٠٠، ص ٥١.

[21] *- A. Smith;* ***Towards a Global Culture****, in ; Featherstone, Mike;* ***Global Culture****, Sage Publication Ltd, London, 1990, p.p. 177- 178.*

[22]- مسعود ضاهر: **الثقافة العربية فى مواجهة المتغيرات الدولية الراهنة**، دار الفكر العربى المعاصر، بيروت، العدد ١٠٠-١٠١، ١٩٩٣، ص ٣٦.

[23]- أحمد مجدى حجازى : **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث**، فى : **عالم الفكر**، المجلد ٢٨، العدد الثانى،أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩،ص ص ١٣٥-١٣٧.

[24]- حلمى شعراوى : **ثقافة التحرر الوطنى فى ظروف العولمة**، **مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية**، المنعقد بالقاهرة - المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، الفترة ١٢- ١٦ أبريل ١٩٩٨.

[25]- محمد جلال سيد غندور: **الاستراتيجية المعلوماتية الأوربية: نماذج من فرنسا والدول الاسكندنافية، الاتجاهات الحديثة فى المكتبات والمعلومات**، العدد ١٣، المجلد السابع، المكتبة الأكاديمية ، يناير ٢٠٠٠ ، ص ٢٠.

[26] *- Knapper, Christopher K and Cropley, Arthur J;* ***Lifelong Learning and Higher Education****, Croom Helm Ltd, London, 1985, p. 23.*

[27]- تشير التقارير الخاصة بالتطرف الدينى فى الجامعات العربية فى المرحل المعاصرة وهى كثيرة ومتاحة يتضح لنا من خلال الحوار مع المتطرفين أن التمسك بالثقافة والهوية الوطنية هو رد فعل على الاختراق والغزو الثقافى وقوته ، كما أن دراسة جماعات مثل عبدة الشطان تدعو إلى ثقافة مغتربة وسلوكيات متناقضة مستمدة من الخارج مع سلبيات من الداخل تشير إلى الأسباب نفسها ، وإن كان بشكل مخالف ، فإذا كانت جماعات التطرف تمثل إحياءً للثقافات الدينية فى محاولة الاعتراض على الاختراق الثقافى العلمانى ، نجد أن جماعة عبدة الشيطان والشات تمثل نشر ثقافة خاصة تجمع بين تناقضات فكرية تجمع بين الأنا والآخر ، وهى رد فعل جماعات طلابية مُغترب ، راجع: أحمد مجدى حجازى : **العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث**، مرجع سابق، ص ١٤٥.

[28]- ضياء الدين زاهر : **التعليم العربى وثقافة الاستدامة**، ،فى : **كراسات مستقبلية**، سلسلة غير دورية، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١١.

[29]- ضياء الدين زاهر ومحمود قمبر : **الاستراتيجية العربية للتعليم عن بعد**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ٢٠٠٢م، ص ٢٧.

[30]- خوسيه جواكين برونر : **العولمة والتعليم والثورة التكنولوجية**، فى : **مستقبليات**، العدد ١١٨،المجلد ٣١، العدد الثانى، يونية ٢٠١م، ص ص ١٧٢-١٧٣.

[31]- عبد الله بوبطانه: **الجامعات وتحديات المستقبل مع التركيز على المنطقة العربية**، فى : **عالم الفكر**، المجلد ١٩، العدد٢، يوليو/أغسطس/سبتمبر ١٩٨٨، ص ٣٩٢.

[32]- سعيد إسماعيل على : **تحليل وتفسير سلبيات الوضع الراهن فى الحياة الجامعية فى العرب**، فى : أحمد حسين اللقانى ( محرر) : **دراسات فى التعليم الجامعى**، مجلة غير دورية، مركز تطوير التعليم الجامعى- جامعة عين شمس، عالم الكتب، ١٩٩٣، ص : ص ٣١:١٩.

[33]- محمود عبد الفضيل **: العرب والعالم على أعتاب ألفية جديدة**، الهيئة العربية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠١، ص ٢١.

[34]- جامعات **الولايات المتحدة الأمريكية** صاحبة أكبر تجربة فى حرية الإعلام قد أصدرت قانونا يعاقب بالسجن أى مرسل أو متلقى للمعلومات المتعلقة بالإرهاب والمواد الإباحية عبر الإنترنت ، وكذلك فى **سنغافورة** تم إصدار تشريع لمراقبة بعض فئات الإنترنت لا سيما ما يتعلق بالدين والسياسة ، وتعطى الحكومة الحق فى منع المواقع التى تهدد الأمن القومى ، وتضم هذه المواقع ١٠٠ موقع أطلقت عليها اسم القائمة السوداء ، وكذلك الحال فى **ألمانيا** حيث أصدرت قانون الوسائط المتعددة الذى يحذر من الدعاية المضادة ، كما يحذر الاستخدام الجنسى الإنترنت ، لمزيد من التفاصيل أنظر : سمير أبو الفتوح صالح : **شبابنا والإنترنت : طموحات وتحديات**، **جريدة الأهرام**، ٢٠٠٤/٤/١٢م.

[35]- المجلس الأعلى للجامعات: **الملامح الرئيسية لتطوير التعليم الجامعى ١٩٧٣- ١٩٩٨**، القاهرة ، ١٩٩٨.

[36]- سامى خشبة: من حقائق التاريخ إلى حقيقة الشخصية العربية، فى : **جريدة الأهرام** ، ٢٠٠٣/٦/١٢.

[37]- مصطفى الضمرانى : **الغزو الثقافى** ، فى : **قضايا ثقافية معاصرة ( أضواء على الحركة الثقافية فى العرب)** ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١، ص ٢١٧.

[38]- عبد الغنى عبود **: أستاذ الجامعة ....فى عصر المعلوماتية**، المؤتمر القومى السنوى السادس لمركز تطوير التعليم الجامعى – جامعة عين شمس، تحت عنوان : **التنمية المهنية لأستاذ الجامعة فى عصر المعلوماتية**، المنعقد خلال الفترة ٢٣- ٢٤ نوفمبر ١٩٩٩، ص ص ٨٣-٨٤.

[39]- رؤوف عباس أحمد : **تاريخ جامعة القاهرة**، فى **: سلسلة تاريخ العرب**، الهيئة العربية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٥٢.

[40]- مجلس الشعب: الفصل التشريعى الخامس، دور الانعقاد العادى الأول، المجلس الرابع، مضبطة الجلسة الثامنة والأربعون، ٢٨ ديسمبر، ١٩٨٧ .

[41]- معهد التخطيط القومى: **العرب- تقرير التنمية البشرية- ١٩٩٨/١٩٩٩**، ص ص ١١٩-١٢٠ .

[42]- جون فاى فيلد : **تطور السياسة التربوية فى الصين الحديثة**، ترجمة كمال توفيق الهلباوى، فى : **رسالة الخليج العربى**، العدد (١٦)، السنة (٥)، مكتب التربية العربى لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص ص ٣٧١،٣٧٢.

[43] *- Hung, Fan-Sing and Others;* ***Expected Rate of Return to Higher Education in South China: Choices of the Future,*** *in;* ***Comparative and International Education Society*** *, Bufflalom New York,19-22 March, 1998, p. 1-3.*

[44] *- Hung, Fan-Sing and Others;* ***Expected Rate of Return to Higher Education in South China: Choices of the Future,*** *Opcit, p. 5.*

[45] *- Kavich, Lawrence, L.;* ***1984 Educational Policy in China: Economic Interrelationships****, Opcit, p. p.12, 13.*

[46] *- World Bank;* ***China: Management and Finance of Higher Education****, A World Bank Country Study, Washington,D.C., 1986, p.p. 11-15.*

[47] *- Center for Partenerships for Educationl Reform and The China Institute;* ***Educational Leaders for the 21st Century, A Joint Training Program for Educational Administrators,*** *, California State University in Cooperation with Nanjing Normal University and Guangzhou Normal University Summer, 1997, p. 4 .*

[48] - Look;

- *Lo, Leslie Nai-Kwai;* ***Development and Education: Reflection on a Contentious Field of Inquiry****, in;* ***Chinese University Education Journal****; v21, n2, 1994, p.p. 207,208.*

- *Orleans, Leo A.;* ***Science and Technology in China : Education, Careers, and Social Statues****, Opcit, p.p. 11,12.*

[49]- عبد الغنى عبود : **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٩١ .

[50]- موجو دوجو : **آراء وإسهامات الصينيين فى تربية أبنائهم**، فى **: مستقبليات (١١٠)**، المجلد ٢٩، العدد الثانى، يونيه ١٩٩٩م، ص ٢٤٠.

[51]- جون كولر : **الفكر الشرقى القديم**، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة : إمام عبد الفتاح إمام، **سلسلة عالم المعرفة** ، العدد رقم (١٩٩)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو ١٩٩٥م، ص ٣٦٠.

[52]- عصام رياض حمزة : **الأبعاد الثقافية والعقائدية والإثنية فى منطقة المحيط الهادى واليابان**، فى : **ندوة التجربة الشرق آسيوية فى التنمية والتعاون الإقليمى**، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام، القاهرة، ٢٦- ٢٧ ديسمبر ١٩٩٤م، ص ٣.

[53]- نصر عارف : **البعد الثقافى فى التجارب الآسيوية للتنمية : دراسة فى إشكالية الخصوصية والعالمية**، فى : **مؤتمر آسيا والعلاقة بين الإصلاح الاقتصادى والاصلاح السياسى: العلاقة بين الديمقراطية والتنمية فى آسيا**، مركز الدراسات الآسيوية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية _ جامعة القاهرة، ١٩- ٢١ مارس ١٩٩٦م، ص ١١.

[54]- إبراهيم نافع : **الصين معجزة نهاية القرن العشرين**، ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، د.ت، ص ١٧١.

[55] *-Bai, Limin;* ***Monetary Reward versus the National Ideological Agenda: Career Choice among Chinese University Students****, in;* ***Journal of Moral Education,*** *v27, n4, Dec 1998, p.p. .526-530.*

[56] *- Hayhoe, Ruth;* ***Universities, Cultural Identity and Democracy : Some Canada – China Comparisons****, in;* ***Interchange****, v23, n1, 1992, p.p. 170,171.*

[57] *- Makino, A.;* ***Lifelong Learning in the People's Republic of China****, in; Hatton, Michael J. (Ed);* ***Lifelong Learning : Policies, Practices and Programs****, Canadian International Development Agency, Ottawa, 1997, p. 347.*

[58]*- Hayhoe, Ruth;* ***Universities, Cultural Identity and Democracy, Some Canada-China Comparasions****, opcit, p.p. 169-173.*

[59] *- Marten, Roberta and Others(Eds);* ***China in a World Cultures Social Studies Curriculum: A Guide for Teachers****, East Asian Inst., Columbia University Press, NY, 1989, p. p. 25-30, 36.*

[60] - Usher; **Human Capital in "Modernising" China**, in; Armtrong, Paul and Others(Eds); **Reflecting on Changing Practices, Contexts and Identities**, Proceedings of the Annual Meeting of the Standing Conference on University Teaching and Research in the Education of Adults, Hull, England, UK, July 12-14 , 1994, p. 97.

[61] - Center for Partenerships for Educationl Reform and The China Institute**; Educational Leaders for the 21st Century, A Joint Training Program for Educational Administrators**, Opcit, p. 2. .

[62] - من أقوال **لي بنج** رئيس وزراء الصين الأسبق وهو من القادة الصينيين الأكثر ميلا للتيار القومي.

[63] - Center for Partenerships for Educationl Reform and The China Institute**; Educational Leaders for the 21st Century, A Joint Training Program for Educational Administrators**, Opcit, p.p.. 3-6 .

[64]- مكتب التربية العربى لدول الخليج : **تطور التربية فى الصين، ١٩٨٤-١٩٨٦م**، مرجع سابق، ص ص ٥٧، ٦٦،٦٧.

[65] - Xiaoming, Hao and Others; **Internet and Information Control : The Case of China**, in; **Electronic Journal of Communication**, v6, n2, 1996.

[66] - Law, Wing-Wah; **Forters State, Cultural Continuities and Economic Change: Higher Education in Mainland China and Taiwan**, in; **Comparative Education**, v 32, n 3, Nov 1996, p.p. 383-386.